المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

الفردية في الفلسفة البراجماتية دراسة تحليلية ناقدة من وجهة نظر التربية الإسلامية

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير بقسم التربية الإسلامية والمقارنة

إعداد الطالب
نايف بن عبد الرازق بن حمادي المطرفي
الرقم الجامعي / ٤٣٠٨٨٠٢٥

إشراف الدكتور
محمد عيسى فهيم
١٤٣٢-١٤٣٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ R Q P O M L K

Y X W V U T S ﴾

سورة النساء: ٨٢

عن العرباض بن سارية t قال: وعظنا رسول الله r موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب . فقلنا يا رسول الله r . إن هذه لموعظة مودع . فما تعهد إلينا ؟ قال: (قد تركتكم على البيضاء . ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هلك . من يعش منكم فيسرى اختلافا كثيرا . فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين . عضوا عليها بالنواجذ . . .)

سنن ابن ماجه (ج ١ / ص١٦)
قال الألباني صحيح

إهـــداء

إلى والدي - رحمه الله - :

الذي غرس في قلبي حب العلم...وكان سيفخر بهذا العمل.

إلى والدتي الحنون:

التي غمرتني بحبها وعطفها...

إلى زوجتي الغالية:

التي أعانت فكانت نعم المعين بعد الله...

إلى زهرات حياتي:

بُنياتي، لجين ، وجمانة، وليان...

إلى أبنائي :

أملي بعد الله... عمرو، وأنس ...

أهدي هذا العمل المتواضع

شكر وتقدير

الحمد لله المتفرد وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وأصحابه ومن تبعه إلى يوم الدين، وبعد:

قال الله عز وجل :[@ A B) فالحمدلله حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم امتنانه على ما أولى من نعم ظاهرة وباطنة، كما أحمده جل شأنه على ما أنعم به عليَّ من مواصلة تعليمي، وأعانني على إتمام هذا العمل المتواضع.

ثم إن كان من شكر بعد شكر الله فهو لوالدي الكريمين:

ولو أنني أوتيت كل بلاغة وأفنيت بحر النطق في النظم والنثر

لما كنت بعد القول إلا مقصراً ومعترفاً بالعجز عن واجب الشكر

فهما من أغدقا عليّ من جميل عطفهما وكريم رعايتهما، وحثاني على مواصلة مسيرتي التعليمية، فجزاهما الله خير ما جزى والداً عن ولده.

والشكر موصول لجامعة أم القرى ممثلة في كلية التربية، وقسم التربية الإسلامية والمقارنة، وأخص بالشكر سعادةَ رئيس القسم الدكتور خليل بن عبدالله الحدري، الذي قرأ هذا العمل وأفدت كثيراً من توجيهاته وتعليقاته.

ثم إن الباحث ليتقدم بالشكر الجزيل لسعادة المشرف على الرسالة د. محمد عيسى فهيم على التفاني في العطاء، والمتابعة الدقيقة لكل ما كتبته، ودعمه المستمر بالنصح والتوجيه، مما أعانني على إنجاز هذه الرسالة فجزاه الله خيراً.

ولا ينسى الباحث أن يشكر الدكتورين الفاضلين الدكتور نايف بن همام الشريف، والدكتور محمد مجاهد، اللذين اقتطعا من وقتهما الثمين للنظر في هذه الدراسة، ومناقشتها، وإبداء الملاحظات عليها، فلهما من الشكر أكثره، ومن أبلغ الثناء أجمله وأعطره، فجزاهما ربي خير الجزاء.

ولا ينسى الباحث كل من وقف بجانبه مساهماً بفكرة أو مرشداً إلى كتاب، أو داعياً في ظهر الغيب بالتوفيق والسداد، فجزاهم الله خير الجزاء.

وكما لن ينسى الباحث شكر زوجته الفاضلة، التي بذلت من عزيز وقتها لتوفر له الراحة والاستقرار، وتشجِّعه وتؤازره في كل مرحلة من مراحل الدراسة، فجزاها الله خير الجزاء.

ملخص الدراسة باللغة العربية

اسم الباحث: نايف بن عبد الرازق بن حمادي المطرفي

موضوع الدراسة: الفردية في الفلسفة البراجماتية دراسة تحليلية ناقدة من وجهة نظر التربية الإسلامية.

هدف الدراسة: استهدفت الدراسة إبراز معالم الفردية في الفلسفة البراجماتية ودراستها دراسة تحليلية ناقدة من وجهة نظر التربية الإسلامية .

منهج الدراسة: استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

فصول الدراسة: تحتوي الدراسة على خمسة فصول كل فصل يحتوي على مبحثين.

الفصل الأول: الإطار العام للدراسة وفيه: مقدمة ومشكلة الدراسة وأسئلة الدراسة وأهداف الدراسة وأهمية الدراسة ومصطلحات الدراسة وهي: (الفردية، والبراجماتية). وحدود الدراسة ومنهج الدراسة.

الفصل الثاني: الجذور الفكرية للفلسفة البراجماتية. وفيه أربعة مباحث: المبحث الأول: نشأة البراجماتية، والمبحث الثاني: أبرز مبادئ الفلسفة البراجماتية، المبحث الثالث: علاقة الفلسفة البراجماتية بالفلسفات القديمة. المبحث الرابع: رواد الفلسفة البراجماتية.

الفصل الثالث: معالم الفردية في الفلسفة البراجماتية (الجانب النظري) وفيه أربعة مباحث: المبحث الأول: معالم الفردية في نظرة البراجماتية للكون، والمبحث الثاني: معالم الفردية في نظرة البراجماتية للإنسان، والمبحث الثالث: معالم الفردية في نظرة البراجماتية للمعرفة، والمبحث الرابع: معالم الفردية في نظرة البراجماتية للقيم.

الفصل الرابع: معالم الفردية في التربية البراجماتية (الجانب التطبيقي)، وفيه ثلاثة مباحث: المبحث الأول: معالم الفردية في نظرة البراجماتية لمفهوم التربية، والمبحث الثاني: معالم الفردية في نظرة البراجماتية للأهداف التربوية، والمبحث الثالث: معالم الفردية في نظرة البراجماتية للتلميذ

أهم نتائج الدراسة:

١. قامت الفلسفة البراجماتية على جملة من المبادئ تتمثل في كونها فلسفة تجريبية عملية ذات نزعة فردية، تنكر الحقائق المطلقة والقيم الثابتة، وتنظر إلى المنفعة باعتبارها هي المعيار الذي يحاكم إليه المعارف والأفكار والقيم، وتركز على المستقبل وتقاطع الماضي بكل ما فيه.

٢. أظهرت الدراسة اعتماد الفلسفة البراجماتية على المعايير الذاتية، وإقامة الفرد وتجربته مصدراً للمعارف والقيم، ومعياراً لقبولها أو ردها وهو من أبرز أسباب فرديتها.

٣. كشفت الدراسة عن أبرز معالم الفردية في التربية البراجماتية، وهو إصرارها على أن تكون التربية صادره من داخل الفرد، مع رفض أي شي يقحم على التلاميذ من الخارج، وإنما هي نمو القدرات الفطرية في الكائنات الإنسانية، مع التركيز على الخبره الذاتية لأفرادها.

٤. تـــَميُيز التربية الإسلامية وتفردها ببناء الفردية التي تراعي جميع جوانب حياة الإنسان، الفردية والجماعية، الدنيوية والأخروية، الحسية والغيبية، الجسمية والروحية، مما يجعلها هي التربية الصالحة لبناء الإنسان.

٥. تبين من خلال البحث أن التربية البراجماتية تتعامل مع نصف الإنسان وتهمل نصفه الآخر، فهي تهتم بدنياه وتلغي آخرته، وتغذي جسده وتتنكر لاحتياجاته الروحية، وتلفت نظره لعالم الحس وتغيّبه عن عالم الغيب، مما يجعلها لا تصلح أن تكون منهج تربية متكامل.

أهم مقترحات الدراسة:

١. ضرورة تربية الأجيال على الشعور بالاعتزاز بدينهم وأن ما يرسمه لهم من نظام تربوي هو خير نظام على وجه الأرض، لأنه من عند أحكم الحاكمين.

٢. القيام ببحوث تربوية تبرز جوانب التكامل في التربية الإسلامية وشمولها جميع إحتياجات الإنسان، تقديمها للعالم المتخبط في نتاج التجارب البشرية.

٣. أهمية إعادة النظر من قِبل المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي التي بنت تربيتها على التربية البراجماتية، وفقاً لمعايير التربية الإسلامية.

The Study Summary ملخص الدراسة باللغة الانجليزية

Name of Researcher: Naif Abdul Razzak H. Al-Matrifi

Study Subject: Individualism in Pragmatic Philosophy – Analytical Critique in view of Islamic Education

Study Objective: The study aims to highlight the characteristics of individualism in pragmatic philosophy and study it analytically and critically in light of the viewpoint of Islamic Education

Study Approach: The researcher has employed the analytical descriptive approach

Study Chapters: The study is composed of five chapters each of which contains of two sections.

Section I: Study Framework: This section includes the introduction, problem of the study, questions of the study, objectives of the study, importance of the study, and terms of the study (individualism and pragmatism), parameters of the study and finally approach of the study.

Section II: Intellectual Roots of Pragmatic Philosophy: This section includes four subsections as follows: First subsection tackles the Origin of Pragmatism; Second subsection tackles the Principles of Pragmatic Philosophy; Third subsection tackles the Relationship between Pragmatic Philosophy and Old Philosophies; and Fourth subsection tackles the Leaders of Pragmatic Philosophy.

Section III: Features of Individualism in Pragmatic Philosophy (Theoretical Aspect): This section includes four subsections as follows: First subsection tackles the Features of Individualism in view of Pragmatists to the Universe; Second subsection tackles the Features of Individualism in view of Pragmatists to Man; Third subsection tackles the Features of Individualism in view of Pragmatists to Knowledge; and Fourth subsection tackles the Features of Individualism in view of Pragmatists to Values.

Section IV: Features of Individualism in Pragmatic Education (Practical Aspect): This section includes three subsections as follows: First subsection tackles the Features of Individualism in view of Pragmatists to the Concept of Education; Second subsection tackles the Features of Individualism in view of Pragmatists to Educational Objectives; and Third subsection tackles the Features of Individualism in view of Pragmatists to the Student.

Most Important Findings of the Study:

1. Pragmatic philosophy had relied on a set of principles represented in being a practical experimental philosophy with an inclination towards individualism, which denies absolute facts and stead values. It further views the benefit as being the criterion by which acquaintance, ideas and values are judged. It further focuses on the future and leave the past behind.
2. The study revealed that pragmatic philosophy was dependent upon self criteria, considering that self experience is regarded as the source of knowledge and values, and the criterion for acceptance or refusal. This feature is perceived as the most distinctive feature of its individualism.
3. The study had also revealed that the most distinctive features of individualism in pragmatic education was represented in its insistence that education must be coming from inside the individual, and refusal of anything to be imposed over the students from abroad. Rather, it is growth of congenital capabilities with concentration on self experience of those individuals.
4. Islamic education is uniquely featured by building individualism which takes into consideration all aspects of human life, individually and collectively, mundane and after-life, sensation and supernatural, physical and spiritual. Therefore, Islamic education is considered the proper education for building man.
5. The study also revealed that pragmatic education deals with only one half of the human, neglecting the other half. It cares about the mundane life and disregards the after-life. It nurtures the body without any concern to spiritual needs. It makes the human draw attention to sensible world while turning a deaf ear to the metaphysics. Therefore, pragmatic education cannot be considered an integrated educational approach.

Study Recommendations:

1. Generations must be raised up to feel proud of their religion; and firmly believe that the educational order their religion grants is regarded the best system—particularly it is being divine!
2. Educational researches and studies must be carried out in order to highlight the integration aspects in Islamic education and comprehensiveness of all human needs and requirements; to be provided to the world stumbled in the results of human experiments
3. Educational establishments in Islamic World whose educational systems are based on pragmatism shall re-consider their educational systems so as to be in accordance with the criteria of Islamic education.

قائمة المحتويات

البسملة ---------- **ب**
آية ---------- **ب**
حديث ---------- **ج**
إهداء ---------- **د**
شكر وتقدير ---------- **و**
ملخص الدراسة باللغة العربية ---------- **ز**
ملخص الدراسة باللغة الانجليزية ----------
خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.
قائمة المحتويات ---------- **ط**
الفصل الأول : الإطار العام للدراسة: ---------- **١**
مقدمة ---------- **٢**
موضوع الدراسة:- ---------- **٤**
تساؤلات الدراسة : ---------- **٥**
أهداف الدراسة : ---------- **٥**
حدود الدراسة : ---------- **٦**
منهج الدراسة : ---------- **٦**
مصطلحات الدراسة : ---------- **٧**
١- الفردية :(INDIVIDUALITY): ---------- **٧**
أ- المعنى العام للفردية : ---------- **٧**
ب- التعريف الاجرائي للفردية : ---------- **٧**
٢- البراجماتية:(PRAGMATISM): ---------- **٨**
الدراسات السابقة: ---------- **٩**
الفصل الثاني : الجذور الفكرية للفلسفة البراجماتية: ---------- **١٢**
المبحث الأول : نشأة البراجماتية. ---------- **١٤**
المبحث الثاني :أبرز مبادئ الفلسفة البراجماتية. ---------- **١٨**
المبحث الثالث : علاقة الفلسفة البراجماتية بالفلسفات القديمة: ---------- **٢١**
أولاً : علاقة البراجماتية بالسفسطائية: ---------- **٢٢**
ثانياً: علاقة البراجماتية بالأبيقورية : ---------- **٢٣**

ثالثاً : علاقة البراجماتية بالرواقية: ---------- ٢٥
رابعاً : علاقة البراجماتية بالنفعية: ---------- ٢٦
خامساً : علاقة الفلسفة البراجماتية بالتجريبية: ---------- ٢٧
سادساً : علاقة البراجماتية بالداروينية: ---------- ٢٨
المبحث الرابع : رواد الفلسفة البراجماتية. ---------- ٣١
١ - تشارلز ساندرس بيرس CHARLES SANDERS PEIRCE (١٨٣٩ - ١٩١٤) ---- ٣١
٢ - وليم جيمس W.JAMES (١٨٤٢ - ١٩١٤) ---------- ٣٥
٣ - جون ديوي J.DEWEY (١٨٥٩ – ١٩٥٢) ---------- ٤٠
الفصل الثالث : معالم الفردية في الفلسفة البراجماتية (الجانب النظري) ---------- ٤٦
المبحث الأول : معالم الفردية في نظرة البراجماتية للكون: ---------- ٤٨
المبحث الثاني : الفردية في نظرة الفلسفة البراجماتية للإنسان: ---------- ٥٧
المبحث الثالث : معالم الفردية في نظرة البراجماتية للمعرفة : ---------- ٦٣
١) طبيعة المعرفة: ---------- ٦٣
أولاً : طبيعة المعرفة في المذهب الواقعي : ---------- ٦٣
ثانياً : طبيعة المعرفة عند المثالية : ---------- ٦٤
ثالثاً : طبيعة المعرفة عند البراجماتية : ---------- ٦٥
٢) مصدر المعرفة :---------- ٦٦
أولاً : مصدر المعرفة عند العقليين : ---------- ٦٧
ثانياً : مصدر المعرفة عند التجريبيين : ---------- ٦٧
ثالثاً : مصدر المعرفة عند الفلسفة البراجماتية : ---------- ٦٧
٣) – الحقيقة في الفلسفة البراجماتية: ---------- ٧١
أولاً : نظرية التطابق :---------- ٧١
ثانياً : نظرية الاتساق : ---------- ٧٢
الحقيقة عند الفلسفة البراجماتية: ---------- ٧٣
المبحث الرابع : معالم الفردية في نظرة البراجماتية للقيم :---------- ٧٩
أولاً : مصدر القيم :---------- ٨٠
ثانياً : نسبية القيم: ---------- ٨١
الفصل الرابع : معالم الفردية في التربية البراجماتية (الجانب التطبيقي) ---------- ٨٥
المبحث الأول : معالم الفردية في نظرة التربية البراجماتية لمفهوم التربية : ------- ٨٧
مفهوم التربية البراجماتية: ---------- ٨٧

مبادئ التربية البراجماتية : ---------- ٨٨
المبحث الثاني: معالم الفردية في نظرة التربية البراجماتية للأهداف التربوية. ------ ٩٠
معايير بناء الأهداف التربوية في التربية البراجماتية: ---------- ٩٠
-المعيار الثاني : ---------- ٩١
-المعيار الثالث : ---------- ٩١
-المعيار الرابع : ---------- ٩١
الأهداف عند التربية البراجماتية: ---------- ٩٣
الهدف الأول : النمو أو التطور الطبيعي: ---------- ٩٣
الهدف الثاني : الفعالية الاجتماعية: ---------- ٩٤
المبحث الثالث : معالم الفردية في نظرة التربية البراجماتية للتلميذ ---------- ٩٦
١ - أهمية الخبرة في التربية البراجماتية : ---------- ٩٧
٢ - مكوّنات الخبرة التربوية: ---------- ٩٧
الأول : مبدأ التفاعل : ---------- ٩٨
المبدأ الثاني : مبدأ الاستمرارية ---------- ٩٨
الفصل الخامس : موقف التربية الاسلامية من الفلسفة البراجماتية ونزعتها الفردية ---- ١٠٠
المبحث الأول : موقف التربية الإسلامية من الفردية. ---------- ١٠١
تعامل التربية الإسلامية مع صفة الفردية في تكوين الإنسان: ---------- ١٠١
أولاً : تأكيد التربية الإسلامية على كرامة الإنسان: ---------- ١٠٢
ثانياً : تأكيد التربية الإسلامية على الدور الذي يقوم به الفرد في الكون. ---------- ١٠٢
ثالثاً : التأكيد على حرية الفرد: ---------- ١٠٣
رابعاً : تنمية المسؤولية الفردية عن الأعمال وما يترتب عليها : ---------- ١٠٥
خامساً : تأكيد التربية الاسلامية على عدم احتقار الفرد لذاته . ---------- ١٠٦
المبحث الثاني : موقف التربية الإسلامية من الفردية و الجماعية : ---------- ١٠٨
أولاً : الإلزام بمعيار موضوعي ثابت خارج الذوات كلها يحتكم إليه الفرد والمجتمع. ---- ١٠٨
ثانياً : تأكيد التربية الإسلامية على أهمية الجماعة في حياة الفرد: ---------- ١٠٩
ثالثاً : تأكيد التربية الإسلامية على مبدأ المسؤولية الاجتماعية في حياة الفرد المسلم. --- ١١٠
المبحث الثالث:موقف التربية الإسلامية من الفردية في الفلسفة البراجماتية: ------ ١١٤
أولاً : موقف التربية الإسلامية من الفردية في (الجانب النظري): ---------- ١١٤
ثانياً : موقف التربية الاسلامية من الفردية في (الجانب العملي) للفلسفة البراجماتية: --- ١١٧
الخاتمة ---------- ١٢٠

أ-نتائج الدراسة: ---------- ١٢١
ب-مقترحات الدراسة: ---------- ١٢٣
قائمة المصادر والمراجع: ---------- ١٢٤

الفصل الأول: الإطـــار العام للدراسة

مقدمة

موضوع الدراسة

تساؤلات الدراسة

أهداف الدراسة

حدود الدراسة

منهج الدراسة

مصطلحات الدراسة

١- الفردية :(INDIVIDUALITY)

٢- البراجماتية:(PRAGMATISM)

الدراسات السابقة

مقدمـــة

أودع الله جلَّ وعلا في الإنسان صفات متقابلة لا تنفك عن طبيعته الإنسانية، كالخوف والرجاء، والحب والكره، الفردية والجماعية. هذه الصفات المتقابلة في الطبيعة الإنسانية لو أُخذت كل صفة مجردة عن الصفة التي تقابلها لظن الناظر إليها أنها على درجة من التعارض والتضاد المطلق الذي لا يمكن معه الجمع بينها، ولأصبح لكل من أخذ بطرف منها له مستنده ودليله الفطري من تركيبة الطبيعة الإنسانية، وهذا ما حدث بالفعل(١) .

فلقد شكَّلت الطبيعة الإنسانية مساحة واسعة من اهتمام الفلاسفة على مر التاريخ، وطرحوا حولها العديد من التساؤلات محاولةً منهم لفهم هذه الطبيعة، فتارة يتساءلون عن ماهية الإنسان و وجوده، و تارةً أخرى عن الخير فيه والشر، ومن التساؤلات المهمة حول طبيعة الإنسان تساؤل يتعلق بمركز الإنسان من الوجود المحيط به، وما دوره وما مكانته فيه، وهل الأصل أن الانسان فردي النزعة؟ وعليه يجب أن تُغذى هذه الفردية فيه إلى أبعد ما يمكن؛ فتُراعى رغباته ونشاطاته وغرائزه وتُجعلُ معياراً يُتحاكمُ إليها حتى وإن كان على حساب المجتمع المحيط به الذي يجب أن يُنظر إليه على أنه كيان مفروض عليه من خارج نفسه متحكم فيه بغير إرادته، ضاغط على كيانه، محطم لشخصيته. أم أن الأصل في طبيعة الإنسان أنه تابع يدور في فلك من حوله ولا كيان مستقل له، فالجماعية هي الأصل التي تقضي على كيانه الفردي بل وتكاد تلغي وجوده إلا بوصفه فرداً في المجتمع فيتلقى قيمه ومعارفه وفق معايير ذلك المجتمع.

والإجابة عن هذه التساؤلات من الأهمية بمكان، وتحتاجها البشرية بوجه عام، إلا أن المربي أكثر احتياجاً إلى الإجابة عنها من غيره، خاصة وأن الإنسان هو موضوع هذه التربية، والتربية في حقيقتها ما هي إلا رعاية الإنسان و السعي في إيصاله إلى مراقي الكمال الإنساني والمربي هو القائم بهذه العملية. إلا أن تتبع الإجابة عن جميع هذه التساؤلات في الفلسفات الفكرية أمرٌ يطول فلذا اختار الباحث تناول موضوع الفردية في الفلسفة البراجماتية وهي من الفلسفات التي لها أثرها في التربية المعاصرة.

وكما أن تحديد العلاقة بين الفرد والمجتمع من الموضوعات التي شكلت جدلاً فلسفياً

---

(١) قطب ، محمد (١٩٩٣) منهج التربية الاسلامية . ط١٤ . .القاهرة: دار الشروق، ص١٦٢- ١٦٨.

فكذلك هي في التربية لما بين التربية والفلسفة من علاقة وثيقة، فقد عانت التربية الحديثة من هذا الجدل، فبعض الفلسفات أخذت جانب الفردية فاعتبرت الإنسان فردي النـــزعة، وحصرت دور التربية في " أن تهيئ للفرد الأجواء المناسبة لاستعادة ثقته بنفسه وليكتشف مشاعره الخاصة وليتحرر من الأقنعة الاجتماعية المصطنعة ... أي أن التربية تبدأ من الفرد وتنتهي بالمجتمع "(١)

وقد اقتصرت الدراسة الحالية على موضوع : "الفردية في الفلسفة البراجماتية دراسة تحليلية ناقدة في ضوء التربية الاسلامية" وذلك لعدة مبرِّرات أهمّها:

- تُعدّ الفلسفة البراجماتية من أحدث الفلسفات المـــؤثرة في العالم بشكل عام وفي العالم الإسلامي على وجه الخصوص.

- غياب ملامح فكرة الفردية في بعض جزئيات الفلسفة البراجماتية بشقيها الفلسفي والتطبيقي، وقد تساعد هذه الدراسة على إبراز معالم الفردية فيها.

- حاجة التربية الإسلامية إلى تقويم الأفكار والخبرات في ضوء معاييرها لتتمكن من قبول ما وافقها وتستفيد منه والابتعاد عما خالفها ، ومن هذه الأفكار الفردية في الفلسفة البراجماتية وتطبيقاتها التربوية.

(١) الكيلاني، ماجد عرسان.(١٩٩٨) . أهداف التربية الاسلامية . بيروت: مؤسسة الريان، ص ٤٦٩

موضوع الدراسة:-

تناولت هذه الدراسة جانباً من جوانب الفلسفة البراجماتية، وهو دراسة معالم الفردية فيها، بشقيها (الفلسفي والتطبيقي التربوي) وتناولها بالتحليل والنقد في ضوء معيار التربية الإسلامية.

والفلسفة البراجماتية من الفلسفات التي اهتمت "بالإنسان الفرد ووضعته في المقام الأول . وذلك لأن الفرد حامل الفكر المبدع وصانع العمل وصاحب تطبيقه "[١] كما تقول.

و بلغ هذا الاهتمام من قبل الفلسفة البراجماتية بالفرد أن جعلت من الإنسان (الفرد) مصدراً للقيم والمعرفة، ومعياراً للحكم بالخير أو الشر، وقد علل جيمس ذلك بقوله :"إن مصدر العلم الأخلاقي إنساني بحت، وذلك أن الإنسان هو الكائن الخلقي الوحيد في العالم. ولذا فالمعقول أن يكون مصدر الخير والشر والفضيلة والرذيلة. إن الإنسان هو الخالق الوحيد للقيم في ذلك العلم وليس للأشياء من قيمة خلقية إلا باعتباره هو"[٢]. وعلى افتراض قبول المقدمة التي برَّرَ بها جيمس "بأن الإنسان هو الكائن الخلقي الوحيد بالعالم" وهذا من تكريم الله تعالى للإنسان قال تعالى :"ولقد كرمنا بني آدم" إلا أن هذا التكريم لا يعطي هذا المخلوق حق تقييم الأخلاق بمعيار مستقل عن هدى الله تعالى فضلاً عن خلقه لها.

ويؤكد (جيمس) على ترك كل إنسان يؤثر الجانب الذي يرتضيه إلى الجانب الذي يحقق له السعادة في نفسه ويحقق له حياة راضية ويعيش بها بمقتضى ما اقتنع به وترك المستقبل يحكم على مواقفه بالصواب أو الخطأ . ويبرز من خلال قول (وليم جيمس) هذا، الجانب الفردي في الحكم على الأشياء ويقترب كثيرا من القول المأثور للسفسطائية "الإنسان مقياس الأشياء جميعاهو مقياس وجود ما يوجد منها ومقياس لا وجود ما لا يوجد منها"[٣]

وعلى أساس هذا الاهتمام بالفرد قامت التربية في الفلسفة البراجماتية، حيث ترى أنه

---

(١) فرحان، محمد جلوب(١٩٨٩). دراسات في فلسفة التربية . العراق : مطبعة التعليم العالي بجامعة الموصل، ص١١٤.

(٢) زيدان ، محمود فهمي (٢٠٠٥) . وليم جيمس . الاسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ص١٦٤.

(٣) كرم، يوسف (٢٠٠٩) . تاريخ الفلسفة اليونانية . القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، ص ٦٣.

يجب وضع أهداف تربوية متمركزة حول إعداد الفرد ، وجعل التلميذ سيد نفسه وخالق القيم، وتوسيع دائرة معلوماته، وتربية الطالب على التأمل والتفكير ، وتدريبه على أن يخطط لمستقبله باستقلال ووعي.

وقد كان لهذه النظرة الفردية انعكاساتها على نظرة البراجماتية إلى الكون والإنسان والمعرفة والقيم، وبالتالي على الجانب التطبيقي وهو التربية البراجماتية.

ويريد الباحث أن يجلي معالم الفردية في الفلسفة البراجماتية من خلال الجانبين النظري (الفلسفي) فيها والتطبيقي (النظرية التربوية).

وبناءً على ما سبق الإشارة إليه يبرز موضوع الدراسة وأهميتها المتمثلة في الكشف عن معالم الفردية في الفلسفة البراجماتية ،وكيف طبقته في التربية البراجماتية وتحليلها ونقدها من وجهة نظر التربية الإسلامية .

تساؤلات الدراسة :

يمكن تحديد موضوع الدراسة إجرائياً في السؤال الرئيس التالي:

ما أبرز معالم الفردية في الفلسفة البراجماتية، وما موقف التربية الاسلامية منها؟

ويتفرع من هذا السؤال الأسئلة الفرعية التالية :

س ١ ما الجذور الفكرية للفلسفة البراجماتية؟

س٢ ما أبرز معالم الفردية في (الجانب النظري) للفلسفة البراجماتية؟

س ٣ ما ابرز معالم الفردية في (الجانب التطبيقي) للفلسفة البراجماتية؟

س ٤ ما موقف التربية الإسلامية من الفردية في الفلسفة البراجماتية؟

أهداف الدراسة :

أراد الباحث أن يجلي معالم الفردية في الفلسفة البراجماتية، وذلك في ضوء معيار التربية الإسلامية؛ ليحقق الأهداف التالية :

١. توضيح الجذور الفكرية للفلسفة البراجماتية.

٢. إبراز معالم الفردية في (الجانب النظري) للفلسفة البراجماتية.

٣. توضيح معالم الفردية في (الجانب التطبيقي) للفلسفة البراجماتية.

٤. تقييم الفردية في الفلسفة البراجماتية، في ضوء معيار التربية الاسلامية .

أهمية الدراسة :

تتضح أهمية الدراسة من خلال النقاط التالية:

١) تسهم هذه الدراسة في إلقاء مزيد من الضوء على الفلسفة البراجماتية خصوصا فيما يتعلق بجانب الفردية فيها وتطبيقاتها التربوية .

٢) يأمل الباحث أن تقدم الدراسة جانب تقييمي للفردية في الفلسفة البراجماتية ، في ضوء التربية الاسلامية .

٣) يأمل الباحث أن تثري هذه الدراسة المكتبة التربوية بحصيلة من النتائج والتوصيات التي ستفتح المجال أمام البحوث والدراسات الأخرى في مجالها .

حدود الدراسة : -

اقتصرت حدود الدراسة على إبراز معالم الفردية في الفلسفة البراجماتية، وتقييمها من وجهة نظر التربية الإسلامية .

منهج الدراسة : -

اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي القائم على جمع البيانات، وتحليلها، حول موضوع الفردية، في الفلسفة البراجماتية، في ضوء معيار التربية الإسلامية .

وقد عرف العساف المنهج الوصفي بأنه " الجمع المتأني والدقيق للسجلات والوثائق المتوفرة ذات العلاقة بموضوع مشكلة البحث . ومن ثم التحليل الشامل لمحتوياتها بهدف استنتاج مايتصل بمشكلة البحث من ادلة وبراهين تبرهن على اجابة اسئلة البحث "[١]

(١) العساف، صالح بن حمد (٢٠٠٣) . المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية . الرياض: مكتبة العبيكان، ص ٢٠٦

مصطلحات الدراسة :

١- الفردية :(Individuality):

يحسُن قبل تعريف الفردية التعريف بمعنى الفرد في اللغة : حيث يفيد الفرد في اللغة " الوتر ، والجمع أفراد وفرادى ، والفرد نصف الزوج ولا نظير له، أي أنه منقطع القرين، لا مثيل له وتأتي كلمة تفرد بمعنى انعزل وتميز عن غيره"(١).

والفرد هو المتفرد المتميز عن القطيع أو الجماعة، فنقول أفرد زيد بالأمر تفرد به ، وتفرد بالأمر أي كان فيه فرداً لا نظير له(٢).

أ- المعنى العام للفردية :

إن الفردية "هي ما يتصف به فرد عن آخر من الصفات الجسمية والمعنوية كبنيته ومزاجه وحساسيته وذوقه وأفكاره"(٣)

وقد ورد تعريف الفردية في المعجم الفلسفي لصليبا بأنها "مذهب من يرى أن غاية المجتمع رعاية مصلحة الفرد والسماح له بتدبير شؤونه بنفسه "(٤)

و تطلق الفردية في علم الأخلاق والسياسة على " القول أن قيمة الفرد أعلى من قيمة المؤسسات المحيطة به ؛ لأن الفرد هو الغاية التي من أجلها وجدت الدولة "(٥)

ب- التعريف الاجرائي للفردية :

يمكن القول بالنظر إلى التعريفات السابقة أنها اقتصرت على التعريف بالفردية من جانب واحد وهو الفرد مقابل المجتمع وأغفلت جوانب أخرى هي أقوى في تمييز الفردية، فلذا فإن الباحث يرى أنه يمكن تعريف الفردية بأنها :

---

(١) ابن منظور (د.ت) . لسان العرب . مصر: دار المعارف، ص ٣٣٧٣

(٢) البستاني، عبدالله (١٩٩٠) . معجم وسيط اللغة . بيروت : مكتبة بيروت، ص ٤٦١.

(٣) صليبا ، ، جميل (١٩٨٢) . المعجم الفلسفي . بيروت : دار الكتاب اللبناني، ص١٤١.

(٤) المرجع السابق ، ص١٤١.

(٥) المرجع السابق، ص١٤٢.

" تلك النزعة التي تُعلي من قيمة الفرد وحريته، وتجعل منه ومن رغباته وفاعليته وخبرته؛ مصدراً ومعياراً للمعارف والقيم "

٢- البراجماتية:(pragmatism):

جاء في المعجم الفلسفي " بالفرنسية (Pragmatisme) وبالانجليزية (Pragmatism) و البراجماتية اسم مشتق من اللفظ اليوناني براغما (Pragma)، معناه العمل، وهي مذهب فلسفي يقرر أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح. فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة، أي الفكرة التي تحققها التجربة. فكل ما يتحقق بالفعل فهو الحق، ولا يقاس صدق القضية إلا بنتائجها العملية"(١)

وتعرف البراجماتية بأنها :"مذهب يرى أن معيار صدق الآراء والأفكار إنما هو في قيمة عواقبها عملاً وأن المعرفة أداة لخدمة مطالب الحياة، وأن صدق قضية ما هو كونها مفيدة . والبراجماتي بوجه عام : وصف لكل من يهدف إلى النجاح، أو إلى منفعة خاصة.(٢)

وقد قسم الباحث البراجماتية إلى جانبين: نظري ، وتطبيقي، وهذا التقسيم إنما هو لغرض منهجي توضيحي .

- **الجانب النظري للفلسفة البراجماتية :**

قصدبه الباحث ما يتعلق بالشق الفلسفي منها ونظرتها للكون والإنسان والمعارف والقيم.

- **الجانب التطبيقي للفلسفة البراجماتية :**

وقصد به الباحث ما يتعلق بالتطبيقات التربوية للفلسفة البراجماتية وموقفها من التربية والتلميذ والأهداف التربوية.

---

(١) صليبيا جميل (١٩٨٢) . مرجع سابق، ص٢٠٣.

(٢) المعجم الفلسفي (١٩٨٣). مجمع اللغة العربية . القاهرة :الهيئة العامة لشؤون المطابع، ص٣٢.

الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع على فهارس المكتبات، ومنها مكتبة الملك فهد الوطنية ، ومركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية ، وبعد سؤال الأساتذة والمختصين ، تبين أن الموضوع لم يبحث و لم يسجل بهذا العنوان إلا أن هناك عدد من الدراسات تناولت جانب من جوانب موضوع الدراسة وهي:

١- دراسة : أبو زيد محمد مكي (١٤٣٠هـ) وعنوان الدراسة: "ظاهرة الصراع في الفكر الغربي بين الفردية والجماعية"

أبرز أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى توضيح حقيقة المذهب الفردي وأبرز من قال به، وكذلك حقيقة المذهب الجماعي وأبرز من قال به، وبيان حقيقة الجمع الخاطئ بين الفردية والجماعية (المذهب التلفيقي) كما سماه الباحث.

منهج الدراسة :

استخدم الباحث المنهج الوصفي والتاريخي.

أبرز نتائج الدراسة :

١- انقسمت المدارس الفلسفية تجاه الفردية والجماعية إلى ثلاثة مدارس كلها ترى بان العلاقة بينهما علاقة تضاد وصراع .

٢- يقوم المذهب الفردي على تقديس الفرد ويقوم المذهب الجماعي على تقديس المجتمع، ويحاول المذهب التلفيقي الجمع بينهما من ناحية المنفعة.

٣- تنطلق الرؤية الإسلامية لحقيقة الفردية والجماعية من القران والسنة ، ولذلك ترى أهمية الفردية والجماعية ، فتربيهما جميعا في الإنسان.

علاقة هذه الدراسة بالدراسة الحالية:-

تتفق دراسة (مكي) مع الدراسة الحالية في تناولها لجانب الفردية، إلا أن الدراسة الحالية اختلفت عن الدراسة السابقة في تناولها للنزعة الفردية عند الفلسفة البراجماتية ، واختلفت عنها أيضاً في تناول الجانب التربوي في ضوء معيار التربية الإسلامية.

٢- دراسة : عبدالله بن علي بن حسين زيلعي (١٤١٥هـ) وعنوان الدراسة: "الفلسفة البراجماتية في مجال التربية دراسة نقدية تحليلية من وجة نظر التربية الاسلامية"

أبرز أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى إبراز الجانب الفلسفي للنظرية البراجماتية في التربية ونظرتها للكون والانسان، وإظهار التطبيقات التربوية للنظرية البراجماتية من خلال كتابات أصحابها، ونقد الأفكار البراجماتية في مجال التربية ومحاكمتها إلى التربية الاسلامية.

منهج الدراسة :

استخدم الباحث المنهج النقدي التحليلي.

أبرز نتائج الدراسة :

- أنه لما ابتعدت الأمة عن كتاب ربها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم وانحرفت عن منهج الله الذي ارتضاه لها بدأت طلائع الفكر المادي المتمثل في التيارات الفكرية المادية تغزو المجتمعات الاسلامية تحت مسميات كثيرة متنوعة كالبراجماتية والوجودية والماركسية وغيرها.

- صارت التعاليم السماوية تُؤَوَّلُ وتُكَيف على حسب مصلحة الشخص ومنفعته.

- لكي نحدد موقعنا نحن المسلمين من مفاهيم البراجماتية خاصة والمفاهيم الغربية عامة لابد من أن نقرر أن العقيدة الاسلامية هي المنطلق الذي تبنى على ضوئه كافة مواقفنا الاسلامية.

علاقة هذه الدراسة بالدراسة الحالية:-

تتفق دراسة (الزيلعي) مع الدراسة الحالية في تناولها للفلسفة البراجماتية، بالاضافة للاتفاق في المعيار الذي حاكمت إليه البراجماتية وهو التربة الاسلامية، إلا أن الدراسة الحالية اختلفت عن الدراسة السابقة في تناولها للنزعة الفردية خاصة عند الفلسفة البراجماتية، واختلفت عنها أيضاً في بيان تطبيقات هذه النزعة في التربية البراجماتية لإعطاء تقييم في ضوء معيار التربية الاسلامية. ويلاحظ على الدراسة السابقة (الزيلعي) ضعف النتائج التي ذكرها

في خاتمة بحثه وذكرها هذه الدراسة بنصها فيما سبق.

٣- دراسة : محمد خضر عوض شبير (٢٠١٠) وعنوان الدراسة: "دراسة ناقدة الفلسفة البراجماتية في ضوء المعايير الاسلامية"

أبرز أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى الكشف عن موقف التربية الاسلامية من بعض مبادئ الفلسفة البراجماتية وتقييمها في ضوء المعايير الاسلامية.

منهج الدراسة :

استخدم الباحث منهج تحليل المحتوى.

أبرز نتائج الدراسة :

١- رفض التربية الاسلامية اقتصار المعرفة في الفلسفة البراجماتية على كلٍ من التجربة والنشاط الانساني والخبرة، مع اعتبار الخبرة شيئاً إيجابياً في تحصيل المعرفة.

٢- تناقض التربية الاسلامية الفلسفة البراجماتية في نسبية القيم وعدم إطلاقها واعتبار الخبرة مصدراً للقيم، والتركيز على جانب النفع المادي للقيم.

٣- رفضت التربية الإسلامية مبدأ الديمقراطية الذي يعتبر الحاكمية للبشر وليس لله تعالى واستبدلته بمبدأ الشورى في الاسلام.

علاقة هذه الدراسة بالدراسة الحالية:-

تتفق دراسة (شبير) مع الدراسة الحالية في تناولها للفلسفة البراجماتية، بالاضافة للاتفاق في المعيار الذي حاكمت إليه البراجماتية وهو التربة الاسلامية، إلا أن الدراسة الحالية اختلفت عن الدراسة السابقة في تناولها للنزعة الفردية خاصة عند الفلسفة البراجماتية.

الفصل الثاني : الجذور الفكرية للفلسفة البراجماتية.

المبحث الأول : نشأة البراجماتية

المبحث الثاني :أبرز مبادئ الفلسفة البراجماتية

المبحث الثالث : علاقة الفلسفة البراجماتية بالفلسفات القديمة

أولاً : علاقة البراجماتية بالسفسطائية

ثانياً: علاقة البراجماتية بالأبيقورية

ثالثاً : علاقة البراجماتية بالرواقية

رابعاً : علاقة البراجماتية بالنفعية

خامساً : علاقة الفلسفة البراجماتية بالتجريبية

سادساً : علاقة البراجماتية بالداروينية

المبحث الرابع : رواد الفلسفة البراجماتية.

١ - تشارلز ساندرس بيرس Charles Sanders Peirce

٢ - وليم جيمس W.James

٣ - جون ديوي J.Dewey

الفصل الثاني : الجذور الفكرية للفلسفة البراجماتية:

ذكر علماء أصول الفقه قاعدة بحثية مفادها أن "الحكم على الشيء فرع عن تصوره"[١] وهي قاعدة مهمة قبل معالجة أي أمر يُراد النظر فيه، والحكم له أو عليه. وتزداد أهمية هذه القاعدة عند مناقشة الأفكار. فبقدر وضوح الفكرة وانكشاف معانيها، يقترب الحكم من الصواب، ومن هنا يكتسب هذا الفصل أهميته في الدراسة. فهو بمثابة الكشاف، الذي يلقي بالضوء على أهم المفاصل الفكرية للفلسفة البراجماتية، ليعطي تصوراً عن مفهوم البراجماتية، وخلفيات نشأتها، ويبين أبرز مبادئها التي قامت عليها ودعت إليها، ويعرّف بروادها الذين أسهموا في تأسيسها، وهل هي فلسفة أصيلة الفكرة أم أنها امتدادٌ لمدارس وفلسفات سابقة لها؟ وإذا كانت كذلك فما أوجه الاتفاق والاختلاف بينها وبين تلك الفلسفات السابقة لها؟.

وسيحاول الباحث معالجة جملة هذه المسائل المترافدة والمتنافذة مع بعضها البعض، من خلال المباحث الأربعة التالية، وهي:

- المبحث الأول : نشأة البراجماتية.
- المبحث الثاني : ابرز مبادئ الفلسفة البراجماتية
- المبحث الثالث : علاقة الفلسفة البراجماتية بالفلسفات القديمة.
- المبحث الرابع : رواد الفلسفة البراجماتية.

ويأمل الباحث أن تقدم معالجته لمحمل هذه المسائل صورة ذهنية واضحة عن الفلسفة البراجماتية، ليتيسر بعد ذلك تتبع أبرز معالم الفردية فيها في الجانبين الفلسفي(النظري) والتطبيقي (التربوي) .

(١) العثيمين ، محمد بن صالح (١٤٢٦). الأصول من علم الأصول . ج١. الرياض: دار ابن الجوزي ، ص٨٣.

المبحث الأول : نشأة البراجماتية.

نشأت الفلسفة البراجماتية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين[١]، في القارة الأمريكية على يد الفيلسوف الأمريكي (تشارلز ساندرس بيرس) Charles Sanders Peirce (١٨٣٩- ١٩١٤) ، الذي يعتبر أول من أطلق مصطلح البراجماتية (Pragmatism) ، وذلك في مقالة له بعنوان : (كيف نجعل أفكارنا واضحة) (How to make our ideas clear)[٢]، نشرت في مجلة (بوبيولار ساينس مونثلي) Popular Science Monthly ، في عدد يناير سنة(١٨٧٨م). ويقرر فيه أن "المفهوم يكون ذا معنى إذا أنتج موضوعه آثاراً تدخل في إطار الخبرة تحت ظروف نتحكم فيها ... ويكون المفهوم واضحاً إذا ما تيقنا وتحققنا من النتائج، التي تلزم عنه عندما نحدد شروط موضوع تصورنا. ويتساءل (بيرس) : (ما معنى وأهمية أي فكرة ما ؟) ، ويجيب : (طريقة السلوك المتولد عنها). وهو ما يعني أن الموضوع هو محتوى الخبرة ومضمونها، وأن قيمة الفكرة تكمن في نتائجها العملية، التي هي الإحساسات المباشرة فقط."[٣]

وقرر أنَّ مبدأ الذرائعية يكمن في النظر إلى النتائج العملية، التي نأمل أن نحصل عليها من وراء أفكارنا، ويقصد أن الفكرة لا تتحقق ذاتها إلا عندما تؤدي إلى نتيجةٍ فعالة، فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة أو الفكرة التي تخرج منتصرةً من امتحان التجربة والزمن.[٤]

وهنا يبدو واضحاً أن (بيرس) قد تجاور المدرسة التجريبية فلم يربط الفكرة بالجانب التجريبي فقط، وإنما ربطها بما تسفر عنه من سلوك ونتائج عملية، أو طريقة السلوك المتولد عنها.

حول نشأة البراجماتية وولادتها فكرة داخل أروقة (النادي المتافيزيقي)، قبل أن تكون

---

(١)، ابراهيم ، مصطفى ابراهيم . نقد المذاهب المعاصرة . القاهرة: دار الوفاء لدنيا الطباعة وانشر ، ص ٦٩. و وانظر : فام، يعقوب(١٩٣٦) . البراجماتزم . القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ص ١٣٧- ١٣٨.

(٢) فام، يعقوب (١٩٣٦). مرجع سابق ، ص ١٣٧.

(٣) جلال ، شوقي (٢٠١٠) . العقل الأمريكي . القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ١٢٠.

(٤) المرهج ، علي عبد الهادي (٢٠٠٨) . الفلسفة البراجماتية . لبنان: دار الكتب العلمية ، ص ٦١ .

مصطلحاً فلسفياً ومقالةً يكتبها بيرس يذكر الباحث حديث بيرس عن ذلك.

حيث يقول (بيرس) : "كان ذلك في أوائل السبعينات (١٨٧٠) عندما اعتادت جماعة منّا نحن الشباب في كامبردج العتيدة، دعونا أنفسنا على سبيل السخرية، وعلى سبيل التحدي (النادي المتافيزيقي)، لأن مذهب اللاأدرية كان عندئذ في أوج نشاطه، وكان ينظر بازدراء شديد إلى كل الميتافيزيقيات. اعتادت الجماعة أن تلتقي أحياناً في غرفة مكتبي، وأحياناً عند (وليم جيمس). ولعل بعض حلفائنا القدامى في (العصابة) لن يحفلوا اليوم أن يذاع على الملأ أننا كنا في شهوات الشباب على الرغم من أن كل نصيبنا من شهوات الشباب لم يكن سوى الشوفان المسلوق واللبن والسكر في كل ورطة على المائدة المشتركة . فأما المستر (هولمز) فأعتقد أنه لن يسوءه أن نقول إننا فخورون بأن نذكر عضويته . وكذلك العالم الموقر (جوزيف وارنر) . ولقد كان (نيكولاس سانت جرين) من أكثر الزملاء الأعضاء اهتماما وشغفا ، وهو محام ماهر ضليع في مادته، وأحد حواريي (بنثام). كانت قوته خارقة في تجريد الحقيقة الحية من أثواب المصطلحات البالية هي ما لفتت إليه الأنظار في كل مكان، وكان يرى أهمية خاصة في تعريف باين (Bain) للاعتقاد بأنه (الشيء الذي يصبح الإنسان على أساسه مستعداً للفعل (العمل)، وغالباً ما كان يحضّ على أهمية استعمال هذا التحديد. وهذا التحديد يرينا أن البراجماتية ليست إلا نتيجة له. ولذلك أميل إلى اعتبار باين (Bain) الجد الأول للبراجماتية. (وتشوشي رايت)، وهو شخصية ذائعة الصيت في تلك القترة. لم يكن ليغيب عن جماعتنا أبداً. وكنت على وشك أن أسميه (المايسترو) (أي القائد) الأوركسترا (الفرقة)". (١)

ويبدو من خلال حديث (بيرس) السابق أن البراجماتية قد تم تأسيسها في النادي الميتافيزيقي كفكرة قبل أن تُنشر في مقال (بيرس) مصطلحاً متداولاً له معناه.

وتبرز النزعة الفردية في الفلسفة البراجماتية منذ التأسيس، ابتداءً من تسمية (النادي الميتافيزيقي). فالميتافيزيقا عندهم تعني "كل ما هو مستقل عن خبرة الإنسان ، وهنا يجمعون في سلة واحدة بين عالم الغيب وبين العالم الموضوعي المادي، لأنه أيضاً مستقل عن خبرة الإنسان، أو له وجود مستقل، ومن ثم يبقون فقط على عالم الشهادة، بمعنى العالم المحصور

(١) المرهج ، علي عبد الهادي (٢٠٠٨) . مرجع سابق ، ص ٢٣ .

داخل نطاق الخبرة الذاتية".[١] وليس كل عالم الشهادة بل ما كان له ثمرة ونتيجة فعالة خاضعة لتجربة الفردية فقط. فالبراجماتية منذ قيامها وتأسيسها هي فردية النزعة.

ولكن لماذا اختار (بيرس) كلمة (Pragmatism) تحديداً ؟ وللإجابة عن هذا السؤال تجدر الإشارة إلى طبيعة شخصية (بيرس)، الذي يعدّ خبيراً من خبراء اللغة والمنطق. فلذلك أراد استخدام كلمات تعبر بدقة عن الفكرة، التي يريد طرحها، بالإضافة إلى أنه يريد كلمة تدل على معنى الفعل والعمل، ومع اهتمامه بهذين الجانبين –أي الدقة والتعبير عن العمل- إلا أنّه يراعي جانباً آخراً هو عدم رغبته في أن يستخدم كلمة سهلة يمكن أن يكثر استخدامها في غير المعنى الذي يقصده؛ فكان نحته كلمة (Pragmatism) من كلمة (Practic) راغباً في "أن تبلغ هذه الكلمات من النفور والكراهية حداً يغري بعض المفكرين السائبين الفضفاضين بعدم استعمالها"[٢] ، على حد تعبيره.

ويبدو أن هذا هو أحد الأسباب ، التي جعلت البراجماتية ضعيفة الانتشار على يد مؤسسها (بيرس) ، لما امتاز به من إغراق في المنطق ، وحرص على أن يختار عباراته بدقة متناهية ، قد تجعل من يستمع إليه أو يقرأ له يملّ . ففي رسالة منه إلى (وليم جيمس) رادّاً فيها على طلب (جيمس) حينما طلب منه تقليل مادته في المنطق والرياضيات عند تدريسه، وشرحه لأفكاره، فقال (بيرس) :

> "... الطلاب الدارسين[٣] هم أبعد الناس عن عالم الرياضيات كأي إنسان آخر في نيويورك على أنني أحب أن أؤكد أن فلسفتي ليست (فكرة) طفحت وفاضت بها نفسي، وإنما هي حدث جدي خطير وعر المسالك، والجزء الذي يرتبط بالمنطق الشكلي أوثق رباطاً ... والذين لا يستطيعون التفكير بدقة (وهو النوع الوحيد من التفكير) لا يستطيعون أن يفهموا فلسفتي ... إني لأفكر في أنه خير لجمهور المستمعين أن يذهبوا إلى بيوتهم ويصلوا صلاتهم الأخيرة استعداداً للقائي"[٤]

(١) جلال ، شوقي (٢٠١٠) .مرجع سابق ، ص ١١٧.
(٢) المرهج ، علي عبد الهادي(٢٠٠٨) .مرجع سابق ، ص ١٥٨.
(٣) هكذا في الأصل والصحيح (الطلاب الدارسون)
(٤) المرهج ، علي عبد الهادي(٢٠٠٨) .مرجع سابق ، ص ١٥٧ .

ويحمل النص السابق قدراً من اعتزاز (بيرس) بالمنطق وحرصه عليه، وهي سمة بارزة في شخصيته. فقد تحدث عن نفسه وهو يخاطب (وليم جيمس) بقوله:" لكني كما تعرف المستر (بيرس) صاحب الشهرة وذيوع الصيت، بسبب منجزاتي العلمية المتنوعة والعديدة، و فوق كل شي، بسبب تواضعي الشديد، الذي يحدوني إلى تحدي العالم"[١] . فيمكن ملاحظة شدة اعتزاز (بيرس) بنفسه، والتي قد تكون سبباً آخر غير السبب المذكور سابقاً، في عدم انتشار البراجماتية على يد مؤسسها.

ثمَّ طورها بعد ذلك الفيلسوف، وعالم النفس الأمريكي (وليم جيمس) (W.James) (١٨٤٢ - ١٩١٤) -وهو على النقيض من شخصية (بيرس)- حيث "نالت كتاباته اهتماماً كبيراً في الأوساط الفلسفية، ولعبت دوراً ملحوظاً في الفلسفة المعاصرة"[٢] ، لما كان يمتاز به من أسلوب سهل في عرض أفكاره لتبسيط البراجماتية وإيصالها للناس، ويبدو أنه نجح في ذلك، باعتراف مؤسسها ، حيث قال (بيرس) مخاطباً (جيمس) : "لكنك وفقت أعظم توفيق في أن تبسطها على صفحتك بكل هذا الوضوح والجلاء والصفاء في أسمى مراتبها ، وبيسر سائغ لم يكن في الإمكان أبدع مما كان"[٣] . فلذا نال من الشهرة والصيت ما لم ينله مؤسسها.

وجاء فيلسوف البراجماتية الأشهر جون ديوي (J.Dewey) (١٨٥٩ – ١٩٥٢) ليطور هذه الفلسفة ويفتح لها مجالات عديدة للتطبيق أشرف عليها بنفسه، ونظّر لها تنظيراً تربوياً أخذ جانباً واسعاً من فلسفته حيث استطاع أن يطبق الفلسفة البراجماتية في مجال التربية، فاهتم بأساليب التعامل مع الطفل، وجعله محور العملية التعليمية، وركز على خبرات التلاميذ وجعلها هي الأساس للتربية برمتها. وسيأتي الحديث عن جوانب التربية البراجماتية في فصل التربية.

وسيتناول الباحث في ثنايا الصفحات القادمة الحديث عن كلٍ من هؤلاء الرواد ، ويقوم ببيان أوجه الاتفاق بينهم والاختلاف في تناولهم للفلسفة البراجماتية.

---

(١)المرهج ، علي عبد الهادي (٢٠٠٨) .مرجع سابق ، ص ١٥٧.

(٢)رشوان ، محمد مهران (١٩٨٤) . مدخل لدراسة الفلسفة المعاصرة . القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ص٤١.

(٣)المرهج ، علي عبد الهادي (٢٠٠٨) .مرجع سابق ، ص ١٥٨ .

المبحث الثاني :أبرز مبادئ الفلسفة البراجماتية.

تُعدُّ البراجماتية فلسفة مادية تنتمي إلى الاتجاه التجريبي، بل تعتبر نفسها اتجاهاً تجريبياً متطرفاً على حد تعبير (جيمس) ، الذي يؤكد " أن البراجماتية تمثل اتجاهاً مألوفاً تماماً في الفلسفة وهو الاتجاه التجريبي ولكنها تمثله في شكل أكثر تطرفاً"(١)، إلا أنَّها لا تعتبر اتجاهاً تجريبياً بالمفهوم التقليدي للتجربة، بحكم أنها تمثل تطويراً له، من حيث ربطها بين نتائج التجربة، وما يترتب عليها من منفعة ذاتية لها ، يقول (جيمس) : " إن البراجماتي عند معالجته لبعض الاشكاليات بدلاً من أن يعالجها بالتأمل المعجب يقفز إلى الأمام في نهر الخبرة إذ يعيش فيها كما تعيش الأسماك في الماء"(٢)

وهذه أبرز مبادئ الفلسفة البراجماتية من خلال استقراء مقولات روادها، وما كتب عنها من مؤلفات تم الرجوع إليها عند إعداد هذا البحث. يعرضها الباحث كما يلي :

١) – القول بالنسبية وإنكار الحقائق المطلقة، والقيم الثابتة، حيث ترفض البراجماتية كل شكل من أشكال المطلق أو الثابت . فمن أبرز ما يميز البراجماتي أنه لا يعترف بالمقولات الخالدة، التي تتسم بالثبات والإطلاق، إلا ما ارتبط بالتجربة المفيدة للفرد . ويرى (بيرس) أن"طرائق الميتافيزيقيين في الاستنباط تصطنع على أساس فروض من عندهم ويصلون به إلى براهين يصفونها بالصواب ، الذي لا يتعرض للتعديل ، على ضوء ما قد تكشف عنه البحوث العلمية"(٣) .

يقول (جيمس) : إن البراجماتى "يولى ظهره بكل عزم وتصميم – إلى غير رجعة – لعدد كبير من العادات الراسخة المتأصلة العزيزة على الفلاسفة المحترمين، إنه ينأى بعيدا عن التجريد وعن عدم الكفاية وعن الحلول الكلامية ، و عن التحليلات القبلية ... وعن المبادئ الثابتة وعن ضروب المطلق والأصول المزعومة ، وهو يولى وجهه ... شطر الحقائق والوقائع شطر العمل والأداء والمزاولة وشطر القوة".(٤)

---

(١) الكحلان ، حسن محمد(٢٠٠٣) . الفلسفة التقدمية . القاهرة : مكتبة مدبولي ، ص ١٠١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠١.

(٣) محمود، زكي نجيب (١٩٩٣) . من زاوية فلسفية . ط ٤ . بيروت: دار الشروق . ص ٢٠٤.

(٤) وليم جيمس (١٩٦٥) . البراجماتية . ترجمة :محمد علي العريان . القاهرة: دار النهضة العربية ، ص ٧١ .

و يعرِّف (جيمس) البراجماتية بأنها"الاتجاه الذي يصرف النظر عن الأمور الأولى ، والمبادئ، والمقولات، والحتميات، والضرورات المفروضة، لكي يتجه ببصره نحو الأمور النهائية والآثار والثمرات والنتائج والوقائع"(١) .

٢) – البراجماتية فلسفة ذات نزعة فردية، حيث "اهتمت بالإنسان الفرد ووضعته في الاعتبار الأول ، وذلك لأن الفرد حامل الفكر المبدع، وصانع العمل وصاحب تطبيقه"(٢)، كما تزعم. فلذا جعلت من الإنسان الفرد مصدراً للقيم والمعرفة، ومعياراً للحكم بالخير أو الشر. ويعلل (جيمس) ذلك بقوله :"إن مصدر العلم الأخلاقي إنساني بحت، وذلك أن الإنسان هو الكائن الخلقي الوحيد في العالم. ولذا فالمعقول أن يكون مصدر الخير والشر والفضيلة والرذيلة أن الإنسان هو الخالق الوحيد للقيم في ذلك العلم وليس للأشياء من قيمة خلقية إلا باعتباره هو"(٣).

٣) – تنظر الفلسفة البراجماتية إلى المنفعة باعتبارها هي المعيار الذي يحاكم إليه صدق الأفكار والقيم، بل وكل شيء، حيث يمكن القول أنها إغراق في النفعية المادية ، يقول جيمس:

> "فعلا إن صدق الفكرة يقاس بمدى ما تحققه من قيم فورية منصرفة ... وقد قصد جيمس من ذلك التأكيد على الدور المؤثر الذي ينبغي أن تلعبه الأفكار والمعتقدات في حياتنا العملية ، إن هذه الأفكار أو النظريات ينبغي في نظره أن تصبح أدوات ووسائل يمكننا بواسطتها أن نتحرك إلى الأمام، ونمضى قدما في حياتنا العلمية، إن فكرة ما أو نظرية ما تكون صحيحة بقدر ما تساهم بنجاح في حل مشكلة معينة، وبقدر ما تساعدنا في تجاوز هذه المشكلة والتقدمإلى الأمام" (٤).

٤) – تعتبر الفلسفة البراجماتية التجربة هي مصدر المعرفة، مع التأكيد على النتائج العملية لأي فكرة أو تجربة. فهي فلسفة عملية تعتمد على التجربة في المقام الأول. فالتجربة، وما يترتب عليها من نتائج عملية ، هي المحك لقبول الأفكار أو ردها. يقول (بيرس) :

---

(١)جيمس ، وليم (١٩٦٥) . مرجع سابق ، ص ٧٦ .

(٢) فرحان ، محمد جلوب(١٩٨٩). مرجع سابق، ص ١١٤

(٣) زيدان ، محمود فهمي (٢٠٠٥) . مرجع سابق، ص ١٦٤ .

(٤) النشار، مصطفى (١٩٩٨). مدخل جديد إلى الفلسفة . القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، ص١٦٦ .

(٤) المرهج ، علي عبد الهادي . (٢٠٠٨) . مرجع سابق ، ص ٢٧.

"فالفرضية يجب أن تكون قابلة للاختبار بواسطة التجربة بقدر ما هي قابلة للعمل". ويقول: "فأى فرضية يمكن أن تكون مقبولة ... شريطة أن تكون قابلة للتحقق التجريبى . وفقط بقدر ما تكون قابلة لمثل هذا التحقق وهذا على نحو تقريبى اتجاه البراجماتية".(١)

ويضيف أيضاً : "لكي نتأكد من معنى أي مفهوم عقلي يجب أن نأخذ بعين الاعتبار النتائج العلمية التي يمكن أن تحصل بالضرورة من ذلك المفهوم ، ومجموع تلك النتائج يشكل المعنى التام لذلك المفهوم".(٢)

وصرح (جيمس) بأن "البراجماتية تسأل سؤالها المعتاد، إذا سلمنا جدلاً بفكرة ما أو معتقد أنه صحيح فإنها تسأل ما هو الاختلاف الملموس الذي سيسببه كونها صحيحة في الحياة العملية لأي فرد؟ كيف سيتم إدراك الحقيقة؟ ما هي الخبرات التي تحدث لو كان الاعتقاد باطلاً؟ باختصار ماهي القيمة الفورية cash value للحق وذلك باصطلاحات تجريبية اختبارية"(٣)

و تبرهن جميع هذه المقولات على مبدأ اعتماد البراجماتية على التجربة مع تطويرها لمفهوم التجربة وربطها بالنتائج المباشرة، والتي تسفر عنها التجربة وتحقق الفائدة للفرد،كما سبق بيانه في مقدمة هذا المبحث.

٥) – البراجماتية فلسفة تركز على المستقبل وتقاطع الماضي بكل ما فيه، فترى ضرورة تجاوز الماضي والبدء من المستقبل فهي لا تسأل عن كيف نشأت المعرفة والأفكار بقدر ما تسأل عن النتائج التي تترتب على هذه الفكرة أو تلك في عالم الواقع.

ويقول (جيمس) :"لنا الآن أن نقرر بثقة ويقين أن الرغبة في تحديد المستقبل وفي تعيينه تكون عنصراً مهماً من عناصر الميول الفلسفية وأن كل فلسفة تتجاهل اشباع تلك الرغبة ولا تعمل على ذلك لا يكمن أن تحوز قبولاً عاماً"(٤) .

---

(١) المرهج ، علي عبد الهادي (٢٠٠٨) مرجع سابق ، ص١٤

(٢) عبد الحفيظ ، محمد(٢٠٠٦). الفلسفة والنزعة الانسانية . الاسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، ص ٨٦.

(٣) عزمي اسلام . اتجاهات في الفلسفة المعاصرة . ص ٨٦

(٤)جيمس ، وليم (١٩٤٦) . إرادة الاعتقاد . ترجمة : د محمود حب الله . القاهرة: دار احياء الكتب العربية ، ص ٥٢

المبحث الثالث : علاقة الفلسفة البراجماتية بالفلسفات القديمة:

ليست الفلسفة البراجماتية فلسفة أصيلة كلياً، جديدة في كل أفكارها ومعتقداتها، بل هي امتداد لغيرها من الفلسفات السابقة لها، وتجسيد لبعض النظريات المعاصرة لنشأتها، حالها في ذلك حال الكثير من الفلسفات المعاصرة. ويرى (جيمس) -كما رأى من قبله (بيرس)- أنه لا يوجد أي شيء جديد على الإطلاق في الطريقة البراجماتية، لقد كان سقراط بارعا صادقا فيها (أي البراجماتية)، فيقول :"تبدو البراجماتية أنها كانت فلسفة سقراط بصورة فعلية"[١] إلا أن جيمس يعود فيقول "بيد أن هؤلاء الرواد السابقين للبراجماتية استخدموها بعضا لا كلا، واستعملوها أجزاء وكسرا وشظايا لقد كانوا ممهدين فقط .إذ لم يقدر للبراجماتية أن تعمم نفسها إلا في زماننا الحاضر"(٢)

وهنا يمكن أن يقال كيف تنادي البراجماتية بالقطيعة مع الماضي وليست هي في حقيقتها إلا امتداد لأفكار وفلسفات سابقة لها، ألا يعدُّ هذامن التناقض؟

ويضيف جيمس أيضاً في بيان ارتباط البراجماتية التجريبية : " إن البراجماتية تمثل اتجاهاً مألوفاً تماماً في الفلسفة وهو الاتجاه التجريبي ولكنها تمثله في شكل أكثر تطرفاً"[٣]

وعليه يمكن القول بأن البراجماتية ليست فلسفة جديدة كلياً بل تمتد جذورها الفكرية إلى أعماق التاريخ الفلسفي القديم، ومن باب أولى والمعاصر . فلها جذورها الممتدة إلى الفلسفة اليونانية القديمة، بالإضافة إلى تأثرها بالفلسفات والنظريات الحديثة، كتأثرها بالدارونية مثلاً، في العديد من أفكارها، و يظهر ذلك بجلاء عند بعض فلاسفتها ويقل أو يخف عند فيلسوف آخر.

وسيتناول الباحث في ثنايا هذا المبحث بعض الشواهد الدالة على انتماء البراجماتية إلى بعض الفلسفات والقديمة والمعاصرة، مع التنبيه إلى أنه يصعب استقصاء انتساب البراجماتية إلى جميع هذه الفلسفات.

---

(١) المرهج ، علي عبد الهادي . (٢٠٠٨) مرجع سابق ، ص ٣٧.

(٢) رشوان ، محمد مهران (١٩٨٤) . مرجع سابق ، ص٥٠

(٣) الكحلان ، حسن محمد(٢٠٠٣) مرجع سابق ، ص ١٠١

لا أو : علاقة البراجماتية بالسفسطائية:[١]

يمكن القول إن وجه تأثر البراجماتية بالسفسطائية يعود إلى كلمة (بروتاغوراس) (protagoras) (٤٨١-٤١١ ق.م) ، التي قال فيها :"(الإنسان مقياس الأشياء جميعا، هو مقياس وجود ما يوجد منها ومقياس لا وجود ما لا يوجد)"[٢].

ولكن أي إنسان يقصده (بروتاغوراس)؟ هل يقصد الإنسان الفرد أم يقصد بالإنسان اسم جنس أي مجموع الناس؟.

وتكمن أهمية الإجابة عن هذا التساؤل؛ أنه يساعد في معرفة العلاقة القائمة بين السفسطائية و البراجماتية .

وكثير من الفلاسفة الذين عاصروا (بروتاغوراس) يقولون إنه قصد به الإنسان الفرد وليس الكل، ومن هؤلاء أفلاطون، الذي يؤكد على أن ما يعنيه (بروتاغوراس) هو الإنسان الفرد. و"أفلاطون لم ينفرد بهذا بل إن (ديمقريطس) نفسه -وقد كان معاصراً (لبروتاغوراس) ومن أبناء بلدته- ذهب إلى أن (بروتاغوراس) يقصد الإنسان الفرد"[٣] .

يقول أفلاطون شارحاً عبارة (بروتاغوراس) في قوله :" يتبين معناها بالجمع بين رأي (هرقليطس) في التغير المتصل وقول (ديموقريطس)، إن الإحساس هو المصدر الوحيد للمعرفة فيخرج منها أن الأشياء هي بالنسبة إلي على ما تبدو لي، وهي بالنسبة إليك على ما تبدو لك وأنت إنسان وأنا إنسان؛ فالمقصود بالإنسان هنا الفرد ، من حيث هو كذلك لا الماهية النوعية"[٤] .

ويعتقد (ول ديورانت) "في تفسير (أفلاطون) لمقولة (بروتاغوراس) تفسيراً صحيحاً بل إن العبارة معناها الانتقال بالمعرفة من الموضوع إلى الذات ويرى أنه على يد (بروتاغوراس)

---

(١) للمزيد حول السفسطائية ،ونشأتها، واهم مبادئها، يمكن الرجوع إلى : كرم ، يوسف (٢٠٠٩) . تاريخ الفلسفة اليونانية . مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة . ص٦٠ وما بعدها ، و الأهواني، أحمد فؤاد (٢٠٠٩) . فجر الفلسفة اليونانية . القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب . ٢٤٦ – ٢٦٠ .

(٢)كرم ، يوسف (٢٠٠٩) . مرجع سابق، ص٦٣

(٣) بخيت، هاني محمد رشاد (٢٠٠٦) . البراجماتية الأمريكية المعاصرة أصولها اليونانية . الاسكندرية : المكتبة المصرية. ص١٩٠.

(٤)كرم ، يوسف (٢٠٠٩) . مرجع سابق ، ص٦٣ .

بدأت الذاتية في الفلسفة"[١] .

وبهذا جعل السفسطائيون الإنسان الفرد؛ معياراً تُحاكم إليه الأخلاق والمعرفة، والخير والجمال. فصارت أموراً نسبية، بناء على مذهبهم الذاتي النسبي، الذي لا يعترف بالحقائق المطلقة، التي تنفصل عن ذات الإنسان، وتجربته، وإدراكه.

فإن"تفسير كلمة الإنسان مقياس كما يلاحظ ديورانت معناها: أن الحقيقة كلها والخير والجمال أمور نسبية وشخصية وأن الفردية بهذا الشكل قد وجدت لها صوتاً ينادي بها وفلسفة تؤيدها... فكل انسان هو مقياس كل الاشياء جميعاً وأنه إذا اختلف الناس فليس هناك حقيقة موضوعية يمكن الرجوع إليها لتصويب المصيب وتخطئة المخطئ".[٢]

وهذه الفردية التي نادت بها السفسطائية؛ هي ذاتها التي نادت بها الفلسفة البراجماتية، فما "كانت البراجماتية بعيدة عن ذلك، فالإنسان هو موضوعها، والبحث عن فائدة الإنسان هو غايتها، محاولة في ذلك إرضاء الإنسان"[٣] . وهنا تبرز الجوامع المشتركة بين البراجماتية والسفسطائية، وهي اهتمام كلتيهما بالإنسان الفرد، وجعله مصدراً للحكم على الأخلاق والمعرفة؛ ما رتب عليه أمر آخر؛ وهو القول بنسبية المعرفة، و بأن هناك حقائق متعددة بتعدد الأفراد، بل بتعدد حالات الفرد الواحد . وهو جانب آخر من جوانب الاشتراك بينهما.

ثانيا ً : علاقة البراجماتية بالأبيقورية :

تنتسب الأبيقورية (لابيقوروس) (٣٤١)، وأما عن اتفاق البراجماتية والمدرسة الأبيقورية فقد اتفقتا على مبدأ المنفعة المترتبة على العمل ، والتي سمتها الأبيفورية اللذة، ونجد ذلك واضحاً جلياً في قول (أبيقوروس) : "تشهد التجربة أننا نطلب اللذة وأن الحيوان يطلبها مثلنا دون تفكير ولا تعليم"[٤]. ثم ربط بين اللذة وما يوصل إليها من وسائل، وبين الحكم الأخلاقي على تلك الوسائل ، فقال:"ومتى تقرر أن اللذة غاية لزم أن الوسيلة فضيلة ... فليس من الحق وصف اللذة بأنها جميلة أو قبيحة شريفة أو خسيسة، فإن كل لذة خير وكل

(١) بخيت، هاني محمد رشاد (٢٠٠٦) . مرجع سابق . ص١٩٠

(٢) المرجع السابق ، ١٩١ .

(٣) المرهج ، علي عبد الهادي . (٢٠٠٨) مرجع سابق ، ص ٣٤ .

(٤) كرم ، يوسف (٢٠٠٩) . مرجع سابق ، ص٣٠١ .

وسيلة إلى اللذة خير كذلك"[١] . فأصبحت المنفعة المترتبة عن تحصيل اللذة ومفارقة الألم هي المعيار المطلق للحكم الأخلاقي . يقول (أبيقور) :"إن مقياس الخير هو اللذة ومفارقة الألم ، وهذا شيء لاحاجة بنا إلى البرهنة عليه ... فالأصل إذاً في كل أخلاق خيرة أن تتجه نحو تحصيل اللذة والابتعاد عن الألم"[٢] . فأخضعوا كل شيء للمنفعة وجعلوها بذلك معياراً.

واتفقت المدرستان على القول بالعلاقة الوثيقة بين الفكر والعمل ، فأنكرت الأبيقورية "على الإنسان حق الاشتغال بالعلم من أجل العلم، لأن العلم من أجل العلم لا يفيد شيئاً إذا لم يكن تحته عمل أو إذا لم يكن مؤدياً إلى السعادة عن طريق العمل والتطبيق"[٣] ، وهو عين ما قال به رواد البراجماتية، فهذا (جيمس) يقول: "الفكرة مفيدة لأنها صحيحة أو أنها صحيحة لأنها مفيدة، إن كلتا هاتين العبارتين تعنيان بالضبط نفس الشيء ألا وهو أن لدينا هنا فكرة تحققت ، ويمكن تحقيقها وإقامة الدليل عليها"[٤]

ثمَّ إنهما قالتا بالنسبية، فالأبيقورية "ابتعدت عن القول التقليدي بالصدق المطلق، أو الحقيقة المطلقة. ذلك لأن الحقيقة الفلسفية بالنسبة للأيقوري هي تلك التي تحقق وظيفة عملية لإصلاح حال المعتقد بها ، وذلك بتخفيف الألم إلى أدنى حد والوصول به إلى أقصى درجات اللذة"[٥] . وقد سبق الإشارة إلى تعريف (جيمس) للبراجماتية بأنها" الاتجاه الذي يصرف النظر عن الأمور الأولى ، والمبادئ، والمقولات، والحتميات، والضرورات المفروضة، لكي يتجه ببصره نحو الأمور النهائية والآثار والثمرات والنتائج والوقائع "[٦]

ثم إن من معالم تأثر البراجماتية بالمدرسة الأبيقورية أنّ الأخيرة دعت إلى استخدام ألفاظٍ واضحة وقريبة من أذهان الناس. (فأبيقوروس) اهتم كثيراً بالمنطق واشتغل به و"وجّه همَّهُ

(١)كرم ، يوسف (٢٠٠٩) . مرجع سابق ، ص٣٠٢ .

(٢) بدوي ، عبد الرحمن (١٩٨٤). الموسوعة الفلسفية . بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ج١ / ص٨٦

(٣) بدوي ، عبد الرحمن (١٩٨٤). مرجع سابق ، ج ١/ ص٨٢ .

(٤) وليم جيمس (١٩٦٥) . مرجع سابق ، ص ٢٤١

(٥) رشوان ، محمد مهران (١٩٨٤) . مرجع سابق ، ص٤٦

(٦) إبراهيم ، زكريا (د.ت) . دراسات في الفلسفة المعاصرة . القاهرة: مكتبة مصر . ص ٣١ .

لنقد المعرفة، والنظر في علامات الحقيقة، وفي الطريق إلى اليقين أو الطمأنينة العقلية التي تؤدي إلى السعادة"[١] . وقد كان (بيرس) يؤكد على كيفية جعل الأفكار واضحة عن طريق ألفاظ واضحة، فالغرض الرئيس من براجماتية بيرس، هو "مساعدتنا على شرح معاني المصطلحات العامة أي الأسماء أو الصفات أو غيرها"[٢].

وخلاصة القول، اشتراك الفلسفتين البراجماتية الحديثة والأبيقورية القديمة ظاهر في اعتماد النفعية الذرائعية، وعلاقة الفكر بالعمل، والقول بنسبية الحقسقة وترك القول بالمطلق، والاهتمام بالمنطق والتركيز على استخدام الألفاظ الواضحة التي تبين المعنى في أذهان الناس. وهو ما يؤكد تلك الجذور التاريخية القديمة التي تربط بين الفلسفتين.

ثالثا ً : علاقة البراجماتية بالرواقية:

تتفق كل من البراجماتية والرواقية في اعتمادهما الحس أساساً لكل معرفة أو أصل لها. فالرواقيون ماديون حسيون فكل معرفة عندهم حسية أو ترجع إلى الحس[٣] ، إلا أن الجانب الأبرز في اتفاق كلتا الفلسفتين ، هو الاهتمام بمحاولة الجمع بين المعرفة العقلية والمعرفة الحسية "وغاية المنطق البراجماتى هو التوفيق بين العقلي والحسي ما يراه العقليون من جهة وما يراه التجريبيون من جهة أخرى وقد كان هذا السبب هو أحد أهم الأسباب في تصنيف البراجماتية كاتجاه فلسفي"[٤].

كما أن محور الفلسفة البراجماتية هو الاهتمام بالنتائج المترتبة على العمل حيث أن "البراجماتية أكثر المدارس إن لم نقل المدرسة الوحيدة في الفكر المعاصر التي آثرت الجانب العملي الذاتي كما فعلت الرواقية من قبلها وهذه النظرة الرواقية واضحة بشكل بارز عند جيمس الذي اهتم بالجانب العملي الذاتي "[٥].

---

(١) كرم ، يوسف (٢٠٠٩) . مرجع سابق ، ص٢٩٥.

(٢) المرهج ، علي عبد الهادي . (٢٠٠٨) مرجع سابق ، ص ٣٩

(٣)كرم ، يوسف (٢٠٠٩) . مرجع سابق ، ص ٣٠٧

(٤) المرهج ، علي عبد الهادي . (٢٠٠٨) مرجع سابق ، ص ٣٧

(٥) المرجع السابق ، ص٣٨

رابعا ً : علاقة البراجماتية بالنفعية:

ظهرت الفلسفة النفعية في انجلترا على يد (ادم سميث) (١٧٢٣-١٧٩٠) ثم تطورت على يد (جيرمى بنثام) (١٧٤٨-١٨٣٢) (وجيمس ميل) (١٧٧٣-١٨٣٦) الذي جعل من ابنه (جون ستيوارت ميل) (١٨٠٦-١٨٧٢) داعية آخر لمذهبه في النفعية، الذي بدوره نقلها لتلميذه (الكسندر باين) (١٨١٨-١٩٠٣)، والذي كان أستاذا جامعياً صنف كتباً عدة وترجم لحياة استاذه جون ميل .(١)

وترى النفعية أن البحث عن المنفعة هو الغاية التي يسعى الإنسان إلى تحقيقها، يقول (ينثام): "إن الطبيعة قد وضعت بني الانسان تحت سيطرة حاكمين ذوي سيادة، هما الألم واللذة، وهما يحكمان في كل ما نفعله، وفي كل ما نقول وفي كل ما نفكر فيه "(٢).

ولقد تأثر رواد البراجماتية بالنفعية بدءاً بمؤسسها (بيرس)، الذي رافق (نيكولاس سانت جرين)، وهو أحد حواريي (بنثام) -كما يقول بيرس- الذي نقل لهم تعريف (الكسندر باين) تلميذ (جون ستيورت ميل) رائد النفعية. وقد سبق أن ذكر الباحث كلام (بيرس) عن أعضاء (النادي المتافيزيقي)، الذي شهد مولد فكرة البراجماتية، تناول فيه (نيكولاس سانت جرين) تعريف (باين) للبراجماتية، بأنها: "الشيء الذي يصبح الإنسان على أساسه مستعداً للفعل (العمل)"(٣). ثم أثنى (بيرس) على هذا الحد (التعريف) حتى جعل البراجماتية ما هي إلا نتيجة له؛ بل واعتبر (باين) الجد الفعلي للبراجماتية، حيث يقول: "وغالباً ما كان يحض على أهمية استعمال هذا التحديد، وهذا التحديد يرينا أن البراجماتية ليست إلا نتيجة له. ولذلك أميل إلى اعتبار باين الجد الأول للبراجماتية."(٤)

والفيلسوف الثاني في البراجماتية هو (وليم جيمس)، والذي كان أيضاً أحد أعضاء ذلك النادي الميتافيزيقي. وقد صرح بحبه لـــــ(جون ستورت ميل) وإعجابه به، حيث وضع في صفحة الاهداء في كتابه الأول (البراجماتية) عبارة :"إلى ذكرى جون ستيوارت ميل، الذي

---

(١) كرم ، يوسف (٢٠٠٩) . تاريخ الفلسفة الحديثة. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية . ص ٣٧٣ – ٣٨٣.

(٢)بدوي ، عبد الرحمن (١٩٨٤). مرجع سابق ، ج ١/ ص ٣٦٤

(٣)المرهج ، علي عبد الهادي . (٢٠٠٨) مرجع سابق ، ص ٢٣

(٤) المرجع السابق . ص ٢٣ .

كان أول من علمني سعة الأفق البراجماتية، والذي يطيب لخيالي أن يتصوره كقائد لنا لو كان اليوم حيا"[١]

وبناءً عليه قامت الفلسفة البراجماتية تبحث عن المنفعة والفائدة العملية من وراء الأفكار والمعارف والقيم. فهي تتفق مع النفعية في هذا الجانب، بالإضافة إلى أنهما مدرستان تجريبيتان

خامساً : علاقة الفلسفة البراجماتية بالتجريبية:

دعت المدرسة التجريبية إلى القول بأن التجربة هي مصدر المعرفة . وكان لآراء (فرنسيس بيكون) (١٥٦١-١٦٢٦) أثرها البالغ في تأسيس المدرسة التجريبية، التي أعطت دوراً مهماً للتجربة، وذلك لتخليص العقل من أوهامه التي يسميها بيكون (أصنام العقل) (idola mentis) . فالعقل عنده "أداة تجريد وتصنيف ومساواة ومماثلة فإذا ترك بحريه على سليقته انقاد لأوهام طبيعية فيه ومضى في جدل عقيم يقوم في تمييزات لا طائل تحتها" فلذا ابتكر المنهج الاستقرائي الذي يقوم على التجريب[٢]

ثم جاء لوك (١٦٣٢-١٧٠٤)، الذى أكد "أن النفس في الأصل كلوح مصقول لم ينقش فيه شيء ، وأن التجربة هي التي تنقش فيها المعاني والمبادئ جميعاً"[٣]

والفلسفة البراجماتية فلسفة تجريبية قائمة على التجريب؛ فلذا تجد أن رواد البراجماتية يصرحون بانتمائهم لهذه المدرسة، يقول (جيمس): " لوك وباركلى وهيوم قد أسهموا بقسط كبير في خدمة الحقيقة بواسطة البراجماتية ... إن البراجماتية تمثل اتجاها مألوفا تماما في الفلسفة ألا وهو الاتجاه التجريبى"[٤]

ومع اتفاق الفلسفتين في الاعتماد على الحس والتجربة إلا أن هناك فروقاً، بين المدرسة التجريبية والفلسفة البراجماتية. فالبراجماتية تؤكد على أهمية العقل ولا تلغى دوره المعرفي، يقول (جيمس): "في الانسان ميول وحاجات وأن العقل وسيط تحقيقها في عالم التجربة، بما

(١)وليم جيمس (١٩٦٥) . مرجع سابق ، صفحة الاهداء.

(٢)كرم ، يوسف (٢٠٠٩) . تاريخ الفلسفة الحديثة. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية .ص ٥٣

(٣)كرم ، يوسف (٢٠٠٩) . تاريخ الفلسفة الحديثة. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية . ص ١٦٠

(٤)وليم جيمس (١٩٦٥) . مرجع سابق ،ص٧٠

يؤكد من مقترحات تستلزم التحقق"[١]. فهو يجعل من التفكير العقلي مجرد مرحلة من مراحل التجربة، حيث يكون هذا التفكير في لحظة استراحة نضع خلالها الفروض، ثم نعود بها إلى الواقع للتأكد من صحتها ونفعها.

فالبراجماتية تتجاوز قضية التجربة إلى قضية الأثر النافع، وما يترتب على التجربة من فائدة ومنفعة سواء التجربة المادية الحسية أو حتى منفعة الفكرة المجردة. وهذا هو سبب قبول (جيمس) لفكرة الدين؛ لأنه يرى أنها فكرة نافعة.

سادساً : علاقة البراجماتية بالدارونية:

قد يكون من أعظم معززات الفردية في الفلسفة البراجماتية تأثرها بالدارونية، حيث جعلت هذه الفرضية (الدارونية) من الفرد كائناً فردياً يصارع الطبيعة من أجل البقاء، ويسعى إلى استخدام جميع طاقاته وإمكاناته البيولوجية ليبقى على قيد الحياة؛ معتمداً في ذلك على المعرفة التي اكتسبها من خلال تجربته الذاتية في أثناء هذا الصراع.

وتعتبر فكرة الدارونية قديمة سبق أن قال بها غير (تشارلس دارون)، فقد قال بها أرسطو قبله. يقول (ول ديورانت) مبيناً رأي أرسطو في نظرية التطور:

> "عندما كان أرسطو يطوف ويتجول في حديقة الحيوان اقتنع بأن من الممكن ترتيب التنوع غير المتناهي في الحياة في سلسلة مستمرة لا تختلف كل حلقة فيها عن السابقة. ففي كل ناحية سواء في البناء الجسمي، أو نمط الحياة، أو التناسل، أو التربية، أو الإحساس والشعور ، يوجد تدرج دقيق وارتقاء من أحط الأنظمة العضوية إلى أسماها. إن الحياة قد تطورت باستمرار في تعقيد وقوة، وإن الذكاء والعقل قد تقدم مرتبطاً مع تعقيد البناء وتحرك النوع، وبالتدريج خلقت الحياة لنفسها جهازاً عصبياً وعقلاً، وتحرك العقل بحزم للسيادة على البيئة المحيطة به...وقد تصور (أرسطو) أن الطيور والزواحف متقاربة في البناء والتركيب، وأن القرد في شكله وسط بين الانسان والحيوان، وأعلن مرة بشجاعة أن الانسان ينتمي إلى مجموعة واحدة من الحيوانات الولود"[٢] .

---

(١) زيدان ، محمود فهمي (٢٠٠٥) . مرجع سابق ، ص١٨

(٢) ول ديورانت(١٩٨٨) . قصة الفلسفة .بيروت: مكتبة المعارف، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

وقال بالداونية أيضاً (لاماك) (١٧٤٨- ١٨٢٩)[١] كما قال بها (هربرة سبنسر) (١٨٢٠-١٩٠٣)[٢].

وعلى أي حال اشتهرت هذه النظرية على يد (تشارلس دارون) (١٨٠٩-١٨٨٢) ونسبت إليه، وتعتبر هذه النظرية من النظريات التي أثرت في الفلسفات اللاحقة لها، وسر هذا التأثير كما يقول جلال، أنها :

"غيّرت، وعلى نحو جذري وكامل صورة الإنسان التقليدية ومكانته. وتتمثل الأهمية الأساسية لنظرية التطور أيضا في أنها أدخلت عامل الزمن أو عنصر التاريخ كعملية تغيير ارتقائية مطردة في مجال العلم ، وبذلك أنهت تماما التقليد الموروث عن العصور الوسطى وعن الإغريق، والذي أخذ بدوره عن المعتقدات الميتافيزيقية. وهو المفهوم الذي يتحدث عن حقائق خالدة، وأنواع ثابتة، ووجود استاتيكى*؛ سواء على مستوى الطبيعة أو المجتمع أو الإنسان. ونظرت إلى العقل من منظور جديد وهو منظور التطور والتغير في تفاعل مع الواقع. فلم يعد العقل ملَكَةً ميتافيزيقية،وجعلت للعقل أو الوعي هنا دوره في توجيه عملية التفاعل بين الكائن الحي والبيئة، والذي يتجسد في حالة التطور"[٣].

ويتضح عند تتبع مقولات رواد البراجماتية مقدار تأثرهم بالداروينية. فهذا (بيرس) يطبق النظرية على الأفكار، حيث يعتقد بأن "قوة وصدق الفرضية هو استقرارها أو مطاولتها في البقاء، أي مدى إيماننا أو اعتقادنا بهذه الفرضية أو الفكرة لأطول مدة من الزمن على أن نخضع هذه الفكرة لشروط المنهج العلمي، حتى نؤمن وبصورة أكيدة بصدقها"[٤].

فـــ(بيرس) عمم (فرضية دارون) وحاول نقلها إلى عالم الأفكار، فجعل نظرية الصراع والبقاء للأقوى سارية حتى على الفكر،حيث يؤكد على أن ظهور الابتكار العلمي ما هو إلا نتيجة من نتائج صراع الأفكار الذي يتولد من بقاء الفكرة الأقوى، فهو عند (بيرس) يساوي ظهور أنواع جديدة على الصعيد البيولوجي. [٥]

---

(١) كرم ، يوسف (٢٠٠٩) . تاريخ الفلسفة الحديثة. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية .ص ٣٢٧ .

(٢)كرم ، يوسف (٢٠٠٩) . تاريخ الفلسفة الحديثة. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية . ص ٣٩٠ .

(٣) جلال ، شوقي (٢٠١٠) . مرجع سابق ، ص ٩٣ .

(٤) المرهج ، علي عبد الهادي . (٢٠٠٨) مرجع سابق ، ص ٦١

(٥) المرهج ، علي عبد الهادي . (٢٠٠٨) مرجع سابق ، ص ٦١

* هذه الكلمة تعني الثابت أو الساكن .

ومن أكثر رواد البراجماتية تأثراً بالدارونية (جون ديوي) الذي أمضى حياته ممثلاً لها في أغلب أفكاره، يقول عنه (ديلودال):"يمكننا القول إن تاريخ فكر ديوي هو مجموعة وقائع لجهد طويل للتوفيق بين داروين وهيغل. وإذا كان صحيحاً بأن مصالحة قد تمت لصالح داروين...وقد جعل داروين من ديوي أكثر اهتماماً بالتجربة"(١)

فنظرة (ديوي) للطبيعة الإنسانية مبنية على (الدارونية)، حيث يرى أنه جزء من الطبيعة تنطبق عليه قوانينها، وأن الانسان كائن بيولوجي يستخدم ذكاءه في التكيف من أجل البقاء، وبناءً على هذه النظرة قال بأنه يجب أن تنظر إليه التربية من هذا المنظور، حيث يقول (ديوي) إن دور التربية ينحصر في "مساعدة الحيوان الصغير النامي العاجز لكي يصبح انساناً سعيداً ذا أخلاق قادراً فعالاً كفؤاً"(٢) " .

وقد ألف (ديوي) كتاباً كاملاً سماه (البحث عن اليقين)(٣) عالج فيه تطور المعرفة ووسائلها، وكانت معالجته وفق منظور مادي خالص، طبق فيه نظرية دارون على الفكر والمعرفة، وجعل سعي الانسان إلى تحصيل المعرفة إنما هو بدافع بيولوجي هو افتقاره للأمن والذي يمكن الوصول إليه عن طريق الوصول إلى اليقين، ثم جعل المحصلة النهائية لذلك السعي هو في وصول هذا الكائن البيولوجي إلى استخدام المنهج التجريبي القائم على أسلوب البحث العلمي للوصول إلى المعرفة التي تحقق اليقين، مستغلاً في ذلك ذكاءه الفطري في تحصيل ما ينفع وتجاوز ما يضر.

(١) ديلودال ، جيرار .(٢٠٠٩) . الفلسفة الأمريكية . ت: جورج كتورة و الهام الشعراني. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص ٢٧٣.

(٢)رالف . ن . وين .(١٩٦٤) . قاموس جون ديوي للتربية . ترجمة محمد على العريان . القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. ص٥٧

(٣) ديوي ، جون (١٩٦٠) . البحث عن اليقين . ت . فؤاد الأهواني . القاهرة: دار احياء الكتب العربية.

المبحث الرابع : رواد الفلسفة البراجماتية.

تعدّد الرواد الذين تضافرت جهودهم في تأسيس الفلسفة البراجماتية، وسيعرض الباحث فيما يلي أبرز روادها وأكثرهم شهرة على النحو التالي.

١- تشارلز ساندرس بيرس Charles Sanders Peirce (١٨٣٩- ١٩١٤)

١ - ١ - نشأته :

هو مؤسس الفلسفة البراجماتية المعاصرة، و أول من أطلق مسمّى البراجماتية على هذه الفلسفة. ولد في الولايات المتحدة الامريكية؛ في (كمبردج) بولاية (ماسا شوستىس) في عام (١٨٣٩). ويعتبر الابن الثاني لـــ(بنجامين بيرس)، أستاذ الرياضيات وعلم الفلك في جامعة (هارفارد). وقد تأثر (بيرس) بوالده كثيراً حتى أصبح فيما بعد رياضياً بارزاً، لأنه بدأ حياته العلمية بالتركيز على دراسة الرياضيات، وكتب المنطق، والتي شكلت شخصيته المنطقية الحريصة؛ بل والدقيقة جداً على توضيح (المعاني). و أتم (بيرس) دراسته الجامعية في هارفارد عام (١٨٥٩) . وفي عام (١٨٦١) حصل على شهادة (Sc.B) في الكيمياء، وهي أعلى شهادة تمنحها (هارفارد). ثم حصل على درجة الماجستير في الفلسفة من الجامعة نفسها عام (١٨٦٢)؛ وهي العوامل التي شكلت مبادئ فلسفة (بيرس)، وصبغتها بالصبغة العلمية، التي جعلته لا يؤمن بشيء لا يصدر عن محك الاختبار التجريبي، بما في ذلك الفلسفة التي يجب أن تحاكى العلوم التجريبية على حد تصوره لها.[١]

ورغم تميز (بيرس) في الكيمياء والفلسفة والرياضيات والمنطق، إلا أنه لم يحظ بالتدريس في الجامعات إلا في جامعة (جونز هوبكونز). وقد فصل منها بعد خمسة أعوام بسبب موقفه العدائي من الدين، فقد كان يقول: "إن الايمان بوجود الله هو إيمان غريزي ليس له علاقة بأي شيء آخر". فخافت الجامعة من أن توصم بالإلحاد خصوصاً أنها كانت في أعوامها الأولى فاستغنت عنه وعينت مكانه أستاذاً آخر.[٢]

---

(١)رشوان ، محمد مهران (١٩٨٤) . مرجع سابق ، ص٤١ ، و محمود ، زكي نجيب (١٩٨٢). حياة الفكر في العالم الجديد . ط ٢ . . القاهرة : دار الشروق، ص ١٢٠.

(٢)المرهج ، علي عبد الهادي . (٢٠٠٨) مرجع سابق ، ص ١٢

ولقد عاش (بيرس) معاناة شديدة جعلت من حياته حياةً مأساوية، عاشها فقيراً معوزاً، وفي آخر أيامه أنهكه المرض فعاش على إحسان بعض أصدقائه، من أبرزهم (وليم جيمس).

ومع كل هذا عاش حياته معتزاً بنفسه إلى درجة الغرور، وقد مر في الصفحات السابقة من ذلك قوله عن نفسه في رسالته إلى (جيمس): "لكني كما تعرف المستر بيرس صاحب الشهرة وذيوع الصيت بسبب منجزاتي العلمية المتنوعة والعديدة، و فوق كل شي بسبب تواضعي الشديد الذي يحدوني إلى تحدي العالم"(١)

١-٢ - حياته العلمية:

أثّرت حياة (بيرس) الأسرية واهتمام والده بالرياضيات في شخصيته، حيث دفعه إلى الاهتمام بها أيضاً؛ حتى أصبح ممن يشار إليه في مجالها، كما أنه كان -ومنذ عمر مبكر- صاحب اهتمام شديد بالمنطق والفلسفة، فدرس تحت إشراف والده كتاب (نقد العقل المحض) (لكانط)، وحفظه عن ظهر قلب، حتى قال عن نفسه إنه دخل إلى الفلسفة عن طريق (كانط) بل يدّعي (بيرس) أن البراجماتية قد تحددت وتشكلت معماريا أخذا عن (كانط)، و لم تكن قراءته قراءة سلبية او لمجرد الاطلاع بل كانت قراءة ناقدة. فقد كانت له نقودات كثيرة على كتاب (كانط)(٢)

والبراجماتية عند (بيرس) فلسفة تهتم بتأسيس المعاني والتصورات، حيث يرى أن فكرة الإنسان عن أي شيء هي آثارها الحسية طبقاً لدلالتها العملية.(٣)

١-٣- أعماله :

قام بالاشراف على مجلتي (العلم الشعبي)(١٨٧٧-١٨٧٨) و (الواحد)(١٨٩١) ، أما عن كتاباته فلم ينشر لـ (بيرس) الكثير من الكتابات التي كتبها إلا بعد وفاته، مجموعةً في ثمان مجلدات تحت عنوان (أوراق مجموعة) (١٩٣١- ١٩٥٨). ويعتبر من أهم أعمال بيرس (تثبيت الاعتقاد) و (المنطق الكبير)(٤).

---

(١)المرهج ، علي عبد الهادي . (٢٠٠٨) مرجع سابق ، ص ١٥٧ .

(٢)محمود، زكي نجيب (١٩٩٣) : مرجع سابق . ص ٢٠٣ .المرهج ، علي عبد الهادي .(٢٠٠٨) مرجع سابق .ص١١

(٣) محمود ، زكي نجيب (١٩٨٢).مرجع سابق، ص ١٢٦

(٤)حنفي ،حسن (١٩٩١) مقدمة في علم الاستغراب . القاهرة : الدار الفنية للنشر والتوزيع . ص ٤٣٩

١ - ٤ - فلسفته:

تدور فلسفة (بيرس) حول محورين أساسين، هما : مشكلة (المعنى) ومشكلة (الاعتقاد) فالمشكلة الأولى تدور حول سؤال تعتبر الإجابة عنه هي وجهة نظر (بيرس) في فكرة (المعنى) .

والمشكلة الثانية (الاعتقاد) تمثلها الإجابة عن السؤال التالي : إن كان لدي اعتقاد معين بأن هناك في العالم الخارجي شيئاً ما ذا صفة معينة فما التحليل الصحيح لهذا الاعتقاد؟ وقد استنفذت الإجابة عن هذين السؤالين فلسفة (بيرس) البراجماتية تقريباً[١]، وبنى على إجابتهما الموقف من معنى الأفكار والاعتقادات وصحتها، الحقيقي منها وغير الحقيقي. فما المقصود (بالمعنى) عند (بيرس)؟

يقصد (بيرس) (بالمعنى) ما يترتب على الفكرة أو العبارة من سلوك يتحدّد معناها في ضوئه أو "هي مجموعة ما يمكن للانسان أن يؤديه من أعمال مسترشداً بالكلمة أو العبارة، وما ليس يهدي إلى عمل معين فلا معنى له، فالأفكار إما أن تكون خططاً للسلوك العملي أو لا تكون شيئاً على الاطلاق، فإذا وجدت فكرة –مهما يكن أمرها- لا تدل على أنواع السلوك الذي تسلكه في عالم الواقع فاعلم أنها فكرة باطلة أو قل إنها ليست شيئاً. ولا يستثني (بيرس) من هذه القاعدة أي نوع من الأفكار سواء كانت هذه الأفكار تأملية (عقلية) أو غيبية (ميتافيزيقية). فيرى أن ما أشغل الفلاسفة من مسائل الوجود المتعلقة بالكون والإنسان والروح هل هي خالدة أم فانية ؟ والعقل والمادة أهما عنصران مختلفان أم أن أحدهما يمكن رده للآخر"[٢] جميع هذه المسائل وغيرها ليست في نظر (بيرس) مشكلات حقيقية، بل هي مجرد كلمات لا معنى لها، لأنها لا ترسم سلوكاً، وكذلك لا تدخل في حدود الخبرة البشرية فعلاً أو مكاناً، فينبغي أن لا تكون من اهتمامات الإنسان.

أما (الاعتقاد) في نظر (بيرس) فتخضع صحته للتجربة في الواقع، فإن أحدث الاعتقاد تغييراً في سلوك الفرد وممارسته؛ بحيث وافق هذا التغيير الواقع؛ فهذا الاعتقاد صحيح، وإن كان التغيير الذي أحدثه هذا الاعتقاد في السلوك يخالف التجربة في الواقع فهذا

---

(١) عباس ، راوية عبد المنعم (٢٠١١) . الفلسفة الفكر والحرية . القاهرة: دار المعرفة الجامعية . ص٣٢٣-٣٥٦

(٢) محمود ، زكي نجيب (١٩٨٢) .مرجع سابق، ص ١٢٣

الاعتقاد خاطئ.

وعليه فإنّ (بيرس) قصد من وراء نظريته في (المعنى) و (الاعتقاد) أن يخضع العبارات والأفكار عندما نريد تحديد معانيها للتجربة المادية. لأن معنى الأفكار عنده، هو ما تمثله من سلوك في الواقع، وصواب أو خطأ أي اعتقاد إنما تحكم به التجربة، ذلك لأنه يرى"أنــه لا معنى لقول، ولا أساس (لاعتقاد) إلا إذا كان ذلك (المعنى) وذلك (الاعتقاد) خطة سلوكية يمكن اداؤها، وإلا أصبح غير ذي (معنى) ولا هو بالفكرة يصح أن تشكل (اعتقاداً) وهــذا هو خلاصة البراجماتية عند مؤسسها ولبها.

وسيناقش الباحث رأي (بيرس) هذا ويبين أثره في بروز الفردية، وذلك في مبحــث المعرفة من الفصل القادم بإذن الله تعالى.

٢- وليم جيمس W.James (١٨٤٢ - ١٩١٤)

٢ - ١ - نشأته :

ولد (جيمس) في الحادي عشر من عام (١٨٤٢) بمدينة نيويورك الأمريكية، في عائلة دينية معروفة بتدينها. وكان أكبر خمسة من الإخوة، وكان الأب متديناً. ولقد أثرت هذه التنشئة الدينية في فلسفة (جيمس) فيما بعد. كما أن والد (جيمس) كان ثرياً فلم يكن في حاجة إلى وظيفة يرتزق منها، لذا صرف وقته للقراءة والاطلاع والسفر والرحلات. فتنقّل (جيمس) وسافر كثيراً؛ بل قد يعد من أبرز ملامح حياته كثرة السفر والترحال بين العديد من دول أوروبا. فزار لندن، وباريس، وبرلين، حتى أنه يقال لم يبق في الولايات المتحدة أكثر من ستة أعوام متتالية. وقد أتاحت له هذه الأسفار المختلفة بين بلدان العالم إتقان عدد من اللغات، مثل: الفرنسية واللاتينية والألمانية [١].

٢ - ٢ - حياته العلمية :

بدأت حياة (جيمس) العملية بدخوله مدرسة (لورنس) العلمية قسم الكيمياء بهارفارد سنة (١٨٦١)، وكان عمره تسع عشرة سنة، لكنه ترك القسم واتجه إلى دراسة التشريح وعلم وظائف الأعضاء، ثم في عام (١٨٦٤) دخل قسم الطب بجامعة هارفارد.

في عام (١٨٦٥) ذهب (جيمس) في رحلة طلابية إلى نهر الأمزون وأصيب في تلك الرحلة بمرض الجدري وشكا من مصاعب صحية كثيرة، فقطع الرحلة وعاد إلى وطنه ليواصل دراسته إلى أن عُين في عام (١٨٦٧) طبيباً بالمستشفي العام لـ(مسا تشوتش)، ثم عاوده المرض فشعر بأرق واضطراب الهضم وأوجاع العين وانحطاط في روحه المعنوية، فرحل إلى أوروبا طلباً للاستشفاء. ثم عاد في عام (١٨٦٨) وحصل على شهادة الدكتوراة في الطب عام (١٨٦٩)، إلا أن المرض عاودة أشد من ذي قبل، فأصيب بالوسوسة وتوهم المرض، وكان من جراء ذلك ضعيفاً متبرماً بالحياة، متشائماً، إلى درجة أنه فكر في الانتحار جاداً. ويبدو أن أكثر مرض (جيمس) هو مرض نفسي، حيث كان يُشكِلُ عليه فكرة الجبر

---

(١)زيدان ، محمود فهمي (٢٠٠٥) . مرجع سابق ، ص ١١ . و الشنيطي ، محمد فتحي (١٩٥٧) وليم جيمس . القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة . ص ٩ – ٢١

العلمي والميتافيزيقي -كما يزعم- وبمجرد أن قرأ بحث (رينوفييه) في حرية الإرادة "وقراره الجازم بعد ذلك (أن أول عمل ايجابي يعمله المرء بالنسبة لحرية الإرادة أن يعتقد أنه حر الإرادة)".(١)

ويبدو أن هذا الأمر أيضاً أثر في فلسفة (جيمس) وميله الشديد إلى الفردية وأهمية عمل الإنسان وإرادته في التأثير فيما حوله وخلق ظروفه المحيطة به.

٢-٣- أبرز أعماله ومؤلفاته :

عمل (جيمس) مدرساً لعلم النفس في كلية بهارفارد (١٨٧٢-١٨٧٦) ، ثم أصبح أستاذاً مساعداً للفيسولوجيا عام (١٨٨٠)، ثم أستاذاً للفلسفة بهارفارد عام (١٨٨٥)، قبل أن يعتزل التدريس عام (١٩٠٧).

كتب (جيمس) مجموعة من المؤلفات التي نالت صدى واسعاً في الفكر الأمريكي بشكل خاص، والفكر العالمي عامة، من أبرزها (مبادئ علم النفس) (The Principles of Psychology)، ثم أشار عليه تلاميذه أن يكتب ملخصاً له فكتبه وسماه (أحاديث سيكولوجية إلى المدرسين) (Talks to teachers on psychology) عام ١٨٩٩.

ثم اتجه للكتابة في الفلسفة بعد أن شعر أنه خدم علم النفس فأصدر كتاب (إرادة الاعتقاد) (The will to Believe) في عام ١٨٩٧، ثم ألقى عشرين محاضرة في جامعة أدنبرة جمعها في كتاب تحت عنوان (صنوف التجربة الدينية) (arieties of Religious Experience)، وذلك في عام (١٩٠٢)، ثم ألقى مجموعة محاضرات في كلٍ من معهد (لوول) وجامعة (كولومبيا) جمعها ثم كان كتابه (البراجماتية) (Pragmatism)، ومن مؤلفاته كذلك كتاب (بعض مشكلات الفلسفة) (Some Problems of Philosophy) وقد نشر هذا الكتاب بعد وفاته عام (١٩١٢)، ثم كتاب (مقالات في التجريبية الأصلية) (Essays in Radical Empiricism). وفي سنة ١٩٠٨ ألقى جيمس مجموعة من المحاضرات في كلية مانشستر في اكسفورد ، نشرت بعد ذلك تحت عنوان (الكون المتعدد) (Pluralistic universe). ثم نشرت مجموعة الاعتراضات التي وجهت إليه في نظريته في

(١) جيمس ، وليم (١٩٤٦) مرجع سابق ، ص ٧

الصدق وردوده عليها تحت عنوان معنى الصدق (Meaning of truth) [١] .

٢ - ٤ - فلسفة (جيمس) :

يمكن القول بأن نظرية معنى الحقيقة (The Meaning of Truth) هي محور براجماتية (جيمس) بنص كلامه، حيث قال بأنها:"الجزء المحوري الذي يدور عليه كتابي الموسوم البراجماتية "[٢]

فما هي نظرية معنى الحقيقة عند (جيمس)؟

يتفق (جيمس) و (بيرس) على أن السلوك العملي هو المعيار الوحيد لقياس الحقيقة، إلا أن (جيمس) تجاوز نظرة (بيرس) واشترط أن يكون هذا السلوك نافعا. فاعتبر أن معيار الحقيقة هو السلوك العملي النافع الذي يترتب عليه. فالفكرة صحيحة والقضية صادقة إذا أدت إلى نتائج عملية نافعة تفيد الفرد في حياته[٣].

والصدق والمنفعة صفتان مترادفتان عند (جيمس) لأي فكرة، فيقول موضحاً ذلك :"أُسمي الفكرة صادقة حين أبدأ بتحقيقها تحقيقاً تجريبياً، فإذا ما انتهيت من التحقيق وتأكدت من سلامة الفكرة سميتها نافعة. إن الصدق أعلى مراحل التحقيق والفائدة أعلى مراحل الصدق"[٤]

وهنا برز معلم من معالم الفردية في الفلسفة البراجماتية على يد (جيمس) يضاف إلى اعتبار السلوك الفردي معياراً تحاكم إليه الحقائق والقيم. هذا المعْلم هو المنفعة الفردية الذاتية التي جعلها (جيمس) معياراً للحقيقة، فيعبّر عنها بكل وضوح، في قوله :" إن الحقيقى باختصار جداً ليس ألا النافع المطلوب والموافق في طريق تفكيرنا بالضبط مثلما أن الصحيح ما هو إلا المطلوب النافع الموافق في طريق سلوكنا "[٥]

---

(١)جيمس ، وليم (١٩٤٦) مرجع سابق ، ص١٢- ١٤ ، و أنظر أيضاً : احمد وزكى نجيب محمود ، قصة الفلسفة الحديثة ، ص ٦٢٢ .

(٢)وليم جيمس (١٩٦٥) . مرجع سابق ، ص ٧٤ . و محمود، زكي نجيب (١٩٩٣) : من زاوية فلسفية . ط ٤ . بيروت : دار الشروق . ص ٢١٣

(٣)وليم جيمس (١٩٦٥) . مرجع سابق ، ص٢٤١.

(٤)زيدان ، محمود فهمي (٢٠٠٥) . مرجع سابق ، ص ٥٧

(٥) عبد الحفيظ ، محمد(٢٠٠٦) . مرجع سابق ، ص ٨٤

بل حتى الصدق الذي عبر عنه (جيمس) بأنه أعلى مراحل التحقيق جعله خاضعاً لعمل الإنسان بالتجربة، فقال عنه : "إننا نحن الذين نصنع الصدق كما نصنع الصحة والثروة والقوة في ميدان الحياة، فالثروة ليست منحة طبيعية فطر عليها (روكلفر) أو (كارنيجي) وغيرهما وإنما هي اسم لعمليات حسية معينة يقوم بها بعض الرجال"(١)

فالفردية أشد وضوحاً في فلسفة (جيمس)، حيث وضع على عاتق الفرد المسؤولية في معرفة الحقيقة، وجعل تجربة هذا الفرد وسلوكه هما المحك الذي تُقبل عن طريقهما الفكرة أو تُرد، بل جعل من الفرد المسئول عن التقدم والتخلف في العالم، ولا وجود لقوة أخرى بجانبه -كما سيأتي في موقف البراجماتية من الكون- ولذا فكل من الحقيقة والمعرفة بشكل عام وصدقها بوجه خاص، قائمة على تجربة الفرد ومنفعتة الذاتية.

بل ذهب (جيمس) إلى أبعد مدى في الفردية، فرفض فكرة الله تعالى باعتبارها حقيقة مفارقة للإنسان أو أن لها وجوداً مستقلاً عنه، فجعل فكرة الإله نابعة من ذات الإنسان ومتوقفة عليه وعلى تجربته معها، فإن وجدها مفيده قبلها وإلا فلا . يقول (جيمس): "إذا كان فرض الله يعمل إكفاء ورضا في أوسع معاني الكلمة ، فهو فرض صحيح"(٢).

وإذا كانت (نظرية معنى الحقيقة) (The Meaning of Truth) هي محور براجماتية (جيمس) فإن التجربة قبلها هي أساس المعرفة عنده بحكم أنه تجريبي . (فجيمس) يرفض الأفكار التي لا يمكن التحقق منها تجريبياً، ويعتبرها أفكاراً غير صحيحة لأنه لا يمكن إثباتها والتدليل عليها، حيث يقول: "إن الأفكار الصحيحة هي تلك الأفكار التي نستطيع هضمها وتمثيلها ودمغها بالمشروعية وتعزيزها وتوثيقها ، وإقامة الدليل عليها ، والافكار الخاطئة هى تلك التى لا نستطيع ذلك معها "(٣)

فـ(جيمس) له فلسفته التي تعتمد المنهج العلمي التجريبي، وفيها يذهب إلى أننا ندرك بالخبرة المباشرة الأشياء الموجودة في العالم، وما يربطها ببعضها البعض من علاقات، وعلى ذلك فالعلاقات بين الأشياء هي مثل الأشياء نفسها ندركها بالخبرة المباشرة. وهذه التجربة

(١)زيدان ، محمود فهمي (٢٠٠٥) . مرجع سابق ، ص ٧١

(٢) جيمس ، وليم (١٩٦٥) . مرجع سابق، ص ٣٤٧.

(٣)وليم جيمس (١٩٦٥) . مرجع سابق ، ص ٣٥٢ .

سمّاها (جيمس) بـــ(التجريبية الراديكالية)، وقال عنها :"إن فلسفتي هي ما أسميها بالتجريبية الراديكالية، التعددية التقدمية، التي تمثل النظام، على اعتبار كونه يكسب تدريجياً ودائماً في صيرورته"(١)

إلا أن الجديد في التجربة عند (جيمس) هو رفض كل ثنائية تقليديـــة تفصـــل بـــين الشعور والعالم الخارجى، فتجعل منهما جزأين متقابلين، وكل واحد منهما جوهر مســـتقل عن الآخر، وتصف الشعور بأنه شيء دقيق، مجرد، بسيط، يُعرف معرفة حدسية، ولا يدرك ادراكاً حسياً، وبذا اصبحت له الصبغة الروحية(٢)

(فجيمس) يرفض كل ثنائية ليؤكد "أن الفصل بين الذات والموضوع فصل مصطنع وغير طبيعي، وليس من طبيعة الأشياء والأفكار. الفكرة والشيء المادي طبيعة واحدة يردان هما إليها"(٣)

وهو بهذا يخالف العقليين في قولهم إن العالم وحدة واحدة وكل متماسك، وإن الكليات ماهيات معقولة متمثلة في الخارج، وإن للأشياء حقائق وماهيات ثابتة لا يطرأ عليها تغيير.(٤)

(١) بيرى ، رالف بارتون (١٩٦٥) افكار وشخصية وليام جيمس ، ت: محمد على العريان . بيروت : دار النهضة العربية. ص ٣٧٩

(٢)زيدان ، محمود فهمي (٢٠٠٥) . مرجع سابق ، ص ٩٥- ٩٦ .

(٣)زيدان ، محمود فهمي (٢٠٠٥) . مرجع سابق ، ص ٩٥

(٤) الفرق بين الكلي والجزئي أن التصور الجزئي لابد أن يتعلق بمتعين الوجود في الخارج ، بخلاف التصور الكلي فإنه لا يمكن أن يتعلق بمعين ، وإنما بالقدر المشترك بين الجزئيات الذي يدركه العقل.

٣- جون ديوي J.Dewey (١٨٥٩ – ١٩٥٢)

٣ - ١ - نشأته:

ولد جون ديوي بمدينة (برلنجتون) في ولاية (فرمونت) في ٢٠ أكتوبر في الولايات المتحدة الأمريكية، وتخرج من المرحلة الثانوية عام (١٨٧٥)، كما تلقى تعليمه الجامعي في جامعة (فرمونت) وتخرج منها عام (١٨٧٩)، ثم انتقل إلى جامعة (جون هوبكنز) حيث حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة عام ١٨٨٤. ثم عمل مدرساً للفلسفة بجامعة (متشيجان) في الفترة (١٨٨٤ - ١٨٨٨) وفي الفترة (١٨٩٤ – ١٩٠٤) انتقل (ديوي) إلى جامعة شيكاغو، التي كانت قد تأسست وقتئذ، وعين فيها رئيسا لقسم الفلسفة وعلم النفس والتربية.(١)

ويعتبر (ديوي) من رواد البراجماتية المؤثرين، وصاحب إنتاج علمي وفير، ومع اتفاقه مع من تقدم من فلاسفة البراجماتية في التأثر بالدارونية، إلّا أنه كان أشدهم تأثراً بها. فكانت فلسفته تقوم على (الدارونية) في أغلبها. ولذا نسب إليه ما يسمى: (بالبراجماتية البيولوجية Biologinal Pragmatism) أو (الرؤية البيولوجية للبراجماتية)، التي ارتبطت به، و ترى " أن الفكر أنما يهدف لمساعدة الكائن العضوى ليتوافق مع بيئته فالتأقلم الناجح المؤدى إلى البقاء والنمو هو بمثابة المعيار على صدق الأفكار"(٢).

ومن أبرز معالم الفردية في فلسفة (ديوي) رفضه وجود حقائق ثابتة"أعلى من الوقائع الجارية في الخبرة الإنسانية والمستمدة من المشاهدات والتجارب وظل حياته كلها يدافع عن هذه النزعة التجريبية...ويطعن في وجود حقائق ثابتة خارج أنفسنا مهما تكن هذه الحقائق"(٣)، وبالرغم من هذه النزعة الفردية الواضحة في فكر جون (ديوي) إلا أنه حاول أن يوفق بين هذه الفردية والمجتمع الذي يعيش فيه الفرد . فلقد ناصر المجتمع "الذي يقوم على أيدي أناس لديهم الشجاعة على التفكير باستقلال، وفي الوقت نفسه يربطون أنفسهم

---

(١) الأهواني ، أحمد فؤاد (١٩٦٨). جون ديوي . القاهرة : دار المعارف . ص ١٥

(٢)رشوان ، محمد مهران (١٩٨٤) . مرجع سابق ، ص ٤٥

(٣) الأهواني ، أحمد فؤاد (١٩٦٨). مرجع سابق . ص ٣٧

بالمجموعة التي يحيون معها، وهذا مجتمع يشجع نزعة الذكاء والروح الإنسانية الحقة"[١]

إلا أن (ديوي) لم يوفق في هذه المحاولة، بل إن هذه المحاولة في الجمع بين نظرته الفردية، والمجتمع، فهما لا تعدوان أن تكونا أقرب إلى التنظير المستعصي على التطبيق العملي الواقعي، فكيف يمكن الجمع بين هذه المحاولة، وبين دعوة (البراجماتية) التي نادى بها (ديوي) نفسه بأن يكون التلميذ هو محور العملية التعليمية، وأن توضع أهداف التربية متمركزة حول الفرد، فتحدد الأهداف التربوية بواسطة المواقف التي يواجهها الفرد؟ بل ويطعن في وجود حقائق ثابتة خارج ذوات الأفراد مهما تكن هذه الحقائق ثم يسعى بعد ذلك إلى هذه المحاولة، وستأتي مناقشة بعض هذه الأفكار في الفصل الخاص بالتربية.

(١) فرحان ، محمد جلوب (١٩٨٩) . مرجع سابق . ص ١١٥

٣-٢- أعماله وإنتاجه العلمي:

يعتبر (ديوي) من أكثر رواد البراجماتية كتابةً وتأليفاً، نال بسببهما شهرته العالمية، حيث كتب في مجالات عديدة، من أهمها التربية والتعليم والمنطق والفلسفة وعلم النفس والأخلاق والسياسية، بالإضافة إلى ما كتبه فى الشؤون الاجتماعية والحضارية. ففى مجال التربية والتعليم كان له كتب أهمها، (المدرسة والمجتمع) (The School and Society)، (الديمقراطية والتربية) (Democracy and Education)، و(مدارس المستقبل) (School of tomorrow)، وقد كتب هذا الكتاب بالمشاركة مع ابنته (افيلين ديوي)، وكتاب (الخبرة والتربية) (Experience and Education)، وعقيدتى التربوية (My pedagogic Greed)، و(التربية فى العصر الحاضر) ((Education on Today)) .

وقد عد الباحث ما كتبه (جون ديوي) فوجد أنها (٣٥) ما بين كتاب ومقال ويهذا سيطول عدها إلا أنه يمكن الرجوع إلى كتاب (الأهواني)[١] الذي جمع فيه حياة (ديوي) العلمية جمعاً مستفيضاً وافياً.

٣-٤- فلسفة (ديوي) :

يمكن تقسيم فلسفة (ديوي) إلى معالم رئيسة، هي :

أولاً : فلسفته التربوية : و هي التي استغرقت جُلَّ كتاباته؛ بل تكاد أن تكون همه الذي سعى إلى أن يطبقه ويجري التجارب لتعزيز ما يعتقده تجاهه. فكان من أول الأعمال التي قام بها - عندما عُين رئيس قسم الفلسفة وعلم النفس والتربية، في جامعة (شيكاغو) عام (١٨٩٤) – أن أنشأ مدرسة تجريبية لتحقيق الربط بين النظريات التربوية وتطبيقاتها العملية، وهدفه تجريب طرائقه ومناهجه الدراسية ووسائله في التنظيم المدرسي، التي لم يسبقه إليها أحد، وهذه الطريقة هي لب فلسفة (ديوي) التربوية ، والتي أطلق عليها (العادة المختبرية للعقل) والتي استعارها من (بيرس)[٢]

ويبدو أن هذه الفكرة قد استفادها (ديوي) عند انتقاله إلى (شيكاغو) وملاحظته للاختلاف الكبير بين الحياة التي كان يعيشها في شرق أمريكا وبين ما شاهده هناك .

---

(١)الأهواني ، أحمد فؤاد (١٩٦٨). مرجع سابق . ص ١٦ - ١٨

(٢)ديوى ، جون و ايفلين ديوي (د. ت). مدارس المستقبل . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية. ص ٢٨،٢٩ .

فلقد لاحظ أنهم في (شيكاغو) لا يؤمنون بالجلوس الهادئ على مقاعد الدراسة لتلقي التعليم النظري فقط، بل كانوا يقدسون العمل اليدوي إلى حد كبير. فهم لا يفترون للحظة عن العمل اليدوي ألدؤوب فأثر ذلك فيه كثيراً، مما جعله يؤمن بأن مقياس الصواب هو النتائج. وعلى قدر ما تعطي النتائج من حل للمشكلات، التي تواجه الطلاب على قدر ما تتمتع بالصواب، بالإضافة إلى تأثير زوجته (أليس تشابمان) التي كانت تشتغل معلمة وأثرت في زوجها تأثيراً عظيماً، فدفعته من الاهتمام بالفلسفة إلى الاهتمام بواقع الحياة المعاصرة والتربية بشكل خاص.(١)

ومن آراء (ديوى) التربوية فكرة أن المدرسة ينبغي أن تكون (أداة لتغيير المجتمع). فيجب أن تكون المدرسة بيئة اجتماعية، فهي ليست وسيلة لإعداد التلاميذ للحياة في المجتمع القادم ثم يقف دورها عند هذا الحد، بل هي أداة لتغييره. ومن جهة أخرى لابد للمجتمع أن يفسح المجال للمدرسة كي تربى الأجيال الجديدة، لأن هذا ينعكس بدوره على المجتمع فيحقق له الاستقرار والتطور ، يقول (ديوى) " فكل ما أنجز المجتمع لنفسه قد وضع – برعاية المدرسة – رصيداً لأعضائه في المستقبل ، والمجتمع يأمل أن يحقق أفضل الآراء عن نفسه خلال الإمكانات الجديدة التي تتفتح في المستقبل حيث تتحدد الروح الفردية والاجتماعية، ولا يمكن للمجتمع أن يكون صادقاً مع نفسه بأي صورة من الصور ، إلا إذا كان صادقاً في تيسيره النحو التام لجميع الأفراد الذيين يؤلفون ذلك المجتمع "(٢).

وتتلخص نظرية (ديوي) التربوية –كما صورها في كتاب (عقيدتي التربوية)- في الأمور التالية:(٣)

١ - إن التربية ظاهرة طبيعية في الجنس البشري ، وبمقتضاها يصبح الفرد وريثاً لما حصلته الإنسانية من حضارة.

٢- تتم هذه التربية لا شعورياً، عن طريق المحاكاة بحكم وجود الفرد في المجتمع، وبذلك تنتقل الحضارة من جيل إلى جيل آخر.

---

(١) الأهواني ، أحمد فؤاد (١٩٦٨). مرجع سابق . ص ٢٢ - ٢٧

(٢)ديوى،جون (١٩٦٤). المدرسة والمجتمع. ت احمد حسن الرحيم . بغداد: دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر.ص٣١

(٣)الأهواني ، أحمد فؤاد (١٩٦٨). مرجع سابق . ص ٤١

٣- التربية المقصودة تقوم على العلم بنفسية الطفل من جهة ومطالب المجتمع من جهة أخرى فالتربية ثمرة علمين هامين، هما: علم النفس وعلم الاجتماع.

ثانياً : المذهب الأداتي : (Instrumentalism) :

هو المذهب الذى مثل فكرة (ديوى) البراجماتية، فيما يتعلق بالحقيقة، وفكرته الأداتية جاءت رداً على النظريات التقليدية للحقيقة، التى كانت ترى أن هنالك حقائق أزلية، ثابتة، نهائية، كاملة وخالدة، فجاء بفكرة تقول أنه "بدلاً من الركون إلى الحقائق الثابتة المتعالية، لابد من النزول إلى الوقائع الموجودة في عالم التغير، والتي تكتسب بالخبرة"(١)، وبما أنه ليس هناك حقيقة قائمة بذاتها أبداً، فينبغي أن تكون كل حقيقة هي خطوة إلى الحقيقة التي تليها، في طريق متسلسل طويل يؤدي في النهاية إلى حل لمشكلة معينة. وهذا الحل الأخير نفسه يستحيل إلى أن يكون حقيقة نهائية، وهكذا.(٢)

توفي (ديوي) في اليوم الأول من شهر (يونيو) من عام (١٩٥٢) عن عمر يناهز الثانية والتسعين، بعد أن قدم عطاءً وفيراً ومهماً خدم به مذهبه وطور تطبيقاته التربوية.

عرض الباحث في ثنايا هذا الفصل لتأريخ نشأة البراجماتية، وأنها نشأت على يد مؤسسها الأول (تشارلس ساندرس بيرس)، مصطلحاً له دلالته، إلا أنها نشأت كفكرة داخل أروقة "النادي الميتافيزيقي" الذي كان يجمع اثنين من روادها. ثم عرض الباحث لأبرز مبادئ البراجماتية، والمتمثلة في القول بالنسبية وإنكار الحقائق المطلقة، والنظر إلى المنفعة المترتبة على العمل، حيث جعلت المنفعة هي المعيار الذي يحاكم إليه صدق الأفكار والقيم، وأنها فلسفة فردية اهتمت بالإنسان الفرد ووضعته في الاعتبار الأول، وأنها فلسفة تركز على المستقبل وتقاطع الماضي ؛ فترى ضرورة تجاوز الماضي والبدء من المستقبل. وهي فلسفة تجريبية في المقام الأول، حيث تعتبر التجربة هي مصدر المعرفة، مع التأكيد على النتائج العملية لأي فكرة أو تجربة.

وقد عرض الباحث الجذور الفكرية لعدد من الفلسفات القديمة والمدارس الحديثة

---

(١) ديوى، جون (١٩٦٠) . مرجع سابق ، ص٦-٧

(٢) الأهواني ، أحمد فؤاد (١٩٦٨). مرجع سابق . ص ١٠٥ -١٠٨ .و ديوى، جون (١٩٦٠) مرجع سابق . ص١٧

ووجه الشبه بينها، ثم تناول في المبحث الأخير التعريف بأبرز رواد البراجماتية، مع وصف مختصر لمفهوم كل منهم للبراجماتية ووجه اختلاف كل منهم عن الآخر.

وبعد التعريف بمبادئ البراجماتية وأصولها الفلسفية أصبح من اليسير الانتقال إلى الفصل التالي لبيان معالم الفردية فيها، بناء على إدراك فكرتها في هذا الفصل.

الفصل الثالث : معالم الفردية في الفلسفة البراجماتية (الجانب النظري).

المبحث الأول : معالم الفردية في نظرة البراجماتية للكون:

المبحث الثاني : الفردية في نظرة الفلسفة البراجماتية للإنسان

المبحث الثالث : معالم الفردية في نظرة البراجماتية للمعرفة

١) طبيعة المعرفة:

٢) مصدر المعرفة

٣) – الحقيقة في الفلسفة البراجماتية

المبحث الرابع : معالم الفردية في نظرة البراجماتية للقيم

أولاً : مصدر القيم

ثانياً : نسبية القيم:

الفصل الثالث: معالم الفردية في الفلسفة البراجماتية (الجانب النظري).

بعد أن تناول الباحث في ثنايا الفصل السابق الجذور الفكرية للفلسفة البراجماتية، وأبرز المبادئ التي قامت عليها، سيتناول الباحث في هذا الفصل معالم الفردية في أهم مكوّنات هذه الفلسفة، من خلال استعراض نظرتها للكون والإنسان، وكذلك نظرتها للمعرفة والقيم.

وسيحاول الباحث الإجمال قدر الإمكان، ودون الإخلال؛ ذلك أن كل مبحث من هذه المباحث هو مشكلة فلسفية مستقلّة بذاتها، يطول الحديث عنها، وتختلف وجهات النظر حولها. ولذا سيكتفي الباحث ببيان ما يتعلق بموضوع الدراسة، المتمثل في إبراز جوانب الفردية في كل مبحث من هذه المباحث ، وهي كما يلي:

المبحث الأول : معالم الفردية في نظرة الفلسفة البراجماتية للكون .

المبحث الثاني : معالم الفردية في نظرة الفلسفة البراجماتية للإنسان.

المبحث الثالث : معالم الفردية في نظرة الفلسفة البراجماتية للمعرفة.

المبحث الرابع : معالم الفردية في نظرة الفلسفة البراجماتية للقيم.

المبحث الأول : معالم الفردية في نظرة البراجماتية للكون:

يمكن إجمال نظرة البراجماتية إلى الكون، من خلال أربع مقولات رئيسية قالت بها الفلسفة البراجماتية، وهي:

١. **مقولة نقص الكون** : وتعني بها البراجماتية النظرة للكون، باعتباره شيئاً ناقصاً غير تام الصنع، لم يكتمل، بعد بل لا يزال في طور التكوين. فالكون لم يخلق كاملاً منذ الأزل. وهي تعتبر العالم يحتمل إمكانات عدّة يتوقف تحقيقها على فعل الكائنات. فهي التي تقرر مصيره. فمذهبها مذهب (كثري)[١] (pluralistic) يعارض الجبرية والأحادية[٢].

يقول (جيمس) :"فعلى الجانب البراجماتي ليس عندنا سوى نسخة واحدة من الكون لم تتم، وهي آخذة في النمو في كل أنواع الأماكن، وخصوصاً في الأماكن التي يعمل فيها أناس يتفكرون"[٣]. ويحاول (جيمس) أن يجعل هذه الفكرة منطقية قائلاً :" افرض معي أنّ الله استشارك في خلق العالم قبل خلقه، وقال لك سأبدأ في خلق عالم ليس خلاصُهُ أمر مؤكد، ولكنّ كماله مشروط بشرط هو أن يقوم كل منكم بأكبر جهد ممكن فيه، وسأقدم لكم فرصاً للمشاركة في استكماله. إنّ الأمان والسلام غير مضمونين، وسأجعل الحياة في هذا العالم مخاطرة حقيقية، وقد تنتهي مخاطرتكم بنجاح. إنه مشروع إجتماعي للقيام بعمل تعاوني، فهل تنظم إلى المشاركة في هذا العمل؟ وهل تثق أنك وإخوانك من البشر ستواجهون الموقف بشجاعة؟ ... أعتقد أنك تقبل المشروع، أم تفضل الحياة الناعسة؟ لو كنت رجلاً صحيح العقل فلن تفضل النوم. سَتُوافِق عقولاً كبيرة على هذا الكون الناقص، الذي نحن عنصر أساسي في استكماله"[٤].

---

(١) وليم جيمس (١٩٦٥) . مرجع سابق ، ص ١٦٣ – ١٩٦ شرح (وليم جيمس) فكرة المذهب الكثري في كتابة البراجماتية يمكن الرجوع إليها في المحاضرة الرابعة "الواحد والمتعدد"

(٢) كرم ، يوسف(٢٠٠٩) . تاريخ الفلسفة الحديثة .مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة . ص ٤٥٩

(٣) وليم جيمس (١٩٦٥) . مرجع سابق ، ص ٣٠٣

(٤) زيدان ، محمود فهمي (٢٠٠٥) . مرجع سابق ، ص ٥٠

٢. **مقولة الزمان :** تعني بها البراجماتية أنّ العالم الناقص في طريقه إلى الاكتمال من خلال الزمن، فالمستقبل مفتوح يتسع للإضافات. " فيرى جيمس أن الزمن ضرورة لإتمام النقص بل لا يمكن فهم تطور هذا الكون أو استمرار وجوده إذا أغفلنا الزمن"(١).

٣. **مقولة الصدفة :** تعني عند البراجماتيين أنْ لاشيء في العالم يتحكّم تحكّماً مطلقاً، في مصائر الأشياء. وهذه المقولة رفض للحتمية والنظام في الكون. ويعرِّف (جيمس) الصدفة بقوله :"إنَّ وصف الشيء بأنَّه مصادفٌ لا يخبرنا شيئاً عن حقيقة ما قد يكون ذلك الشيء في نفسه. فقد يكون خيراً، وقد يكون شراً، وكل ما يُقصد بتسميته مصادفياً هو أنّه ليس مضمون الوجود، يعني أنه كان يمكن أن يكون غير ذلك، لأنَّ القوانين التي نعرفها لا تقدر على إخضاعه"(٢).

٤. **مقولة الامكان :** هي إمكان أن يكتمل العالم على أساس الفعل الحر، حيث يؤكّد (بيرس) "أنّ العالم لا يسير وفق قوانين حتمية ضرورية دائماً، وإنما به عنصر الإمكان. فالقوانين في تطوّر، وتخضع لقانون التطور ذاته، وليس المستقبل معروفاً لنا معرفة ضرورية، وإنّما قد يسير وفق الماضي، وقد يتغير عنه قليلاً أو كثيراً، ويتضمن ذلك أن (بيرس) مؤمن بعنصر المصادفة في الكون، أي أنّ من الممكنات ما قد يظهر في المستقبل ما لم نلحظه في الماضي"(٣).

هذه المقولات الأربع التي قال بها البراجماتيون، تُبين موقفهم من الكون ونظرهم إليه، ولو سُئل (جيمس) أو غيره من البراجماتيين لماذا قلت بها؟ فلن تجد عنده أيّ مبرّر منطقي لهذا القول. يقول (زيدان) "فلم أعثر على أسباب القول بنقص العالم. إنّه يعتقد

(١)زيدان ، محمود فهمي (٢٠٠٥) . مرجع سابق ، ص١٢٣
(٢)الكحلان ، حسن محمد(٢٠٠٣) مرجع سابق ، ص ١٩٦
(٣)زيدان ، محمود فهمي (٢٠٠٥) . مرجع سابق ، ص٣٩

أنّ التعدد فرض ولكنه فرض مقبول يحل مشاكلنا"[١]. إذن هو تطبيق للبراجماتية ليس إلاّ.

ولكن كيف يكون هذا؟ أليس جيمس هو القائل: "إنّ الأفكار الصحيحة هي تلك الأفكار التي نستطيع هضمها وتمثيلها ودمغها بالمشروعية وتعزيزها وتوثيقها، وإقامة الدليل عليها، والأفكار الخاطئة هى تلك التى لا نستطيع ذلك معها "[٢]

فأين الدليل على ما يقول؟ إنّه لا يملك أيّ دليل حسّي ولا حتّى عقلي، لكنّه يمتلك الدليل البراجماتي النفعي؛ الذي يجعل من الأوهام حقائق علمية! ودليله هو قوله :" ان الحقيقى باختصار جداً ليس إلا النافع المطلوب، والموافق في طريق تفكيرنا، بالضبط مثلما أن الصحيح ما هو إلا المطلوب النافع الموافق في طريق سلوكنا "[٣].

فما هي المنفعة التي تتحقق للبراجماتية من فكرة القول بنقص العالم والمقولات الأخرى؟ إنّ المنفعة المتحققة من هذه المقولات، يمكن استخلاصها من موقف (جيمس) من انتظام الكون ودقّة تكوينه، حيث قال: "فالكون المحكم الدقيق يكاد يخنقني باحتوائه، كل شيء في يقين لا يخطئ، وضرورته التي لا تترك مجالا للاحتمالات، وعلاقاته التي لا تنطوي على أدوات، تجعلني أشعر كما لو كنت قد وقّعت عقدا لم احتفظ لي فيه بأيّ حقّ، أو بالأحرى كما مضطراً إلى أن أعيش في فندق ضخم، على شاطئ البحر، ليس لي فيه حجرة نوم خاصّة أستطيع أن ألوذ بها بعيدا عن التزلاء"[٤].

إنّ ما تضمنه الكلام السابق لـــ(جيمس) يعطي دلالة على أنّ نظام الكون المحكم الدقيق، لا يروق للفيلسوف البراجماتي، لأنّه يشعر مع هذا النظام الصارم الدقيق أن فرديته قد سلبت منه، ولم يبق له دور ليمارس فرديته في صناعة أحداث الكون من حوله؛ إذ لابد للإنسان من أن يحتفظ له بحق في العقد الكوني الدقيق، ولابد له من حجرة نوم خاصة في فندق الكون الشاسع.

وبناءً عليه، كانت فكرة نقص العالم فكرة تحقق هدف البراجماتية بامتياز- في نظرهم –

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٣

(٢) وليم جيمس (١٩٦٥) . مرجع سابق ، ص ٣٥٢ ، و زيدان ، محمود فهمي (٢٠٠٥) . مرجع سابق ، ص ٦٦

(٣) عبد الحفيظ ، محمد(٢٠٠٦) . مرجع سابق ، ص ٨٤

(٤) رشوان ، محمد مهران (١٩٨٤) . مرجع سابق ، ص ٥٤

لكي يجدوا مجالاً لعمل الفرد، يشارك فيه، وهو يصارع الطبيعة لتحقيق نجاحاته بجهده الفردي الخالص، حتى وإن لم يجدوا عليها أيّ دليل إلاّ أنّها نافعة و مفيدة في تحقيق دور للفرد في هذا الكون الشاسع . ولا يهمّ إن كانت الفكرة بعد ذلك صحيحة أم خاطئة، المهم أن تُوجِدَ دوراً يقوم به الإنسان في هذا العالم، ولن يتكلف الباحث الأدلة لإثبات ما ذهب إليه، فهذا (جيمس) يقول:"لتكن باطلة أو صحيحة فإن معناها هو هذه الارتقائية ، هو المذهب القاضي بأن العالم يرتقي ويتحسن بمساعدة الإنسان"(١)

ويبدو التناقض الواضح في فكر الفيلسوف البراجماتي (جيمس) في قوله بفكرة نقص العالم المتضمِّنة عدم انتظامه، بل وافتقاره إلى عمل الفرد؛ وبين مقولته التي يعترف فيها بانتظام العالم وافتقاده إلى أن يجد فيه دوراً يشبع فرديته.

وعلى أي حال فموقف البراجماتية تجاه الكون موقف قلق متضارب، فتارة يقف البراجماتي متذمّراً من دِقّة الكون وإحكامه، وتارة يجزم بأنّه ناقص تحكمه الصدفة والإمكان، وثالثة يجمع بين النقيضين (الفوضى والنظام)، كما يقول (جيمس): "إنّ في العالم عنصري النظام والاضطراب معاً، وليس عنصر النظام وحده ... ولقد صدق دارون حين اعتقد أنّه إذا كان لا بدّ من تدبير في الكون فإنّه تدبير شيطان، أو عناية علة مضطربة، لأن هنالك كائنات تموت وتنهار ، وظواهر تخرج من لا شيء، وقيام أشياء على أكتاف أشياء أخرى وهلاكها ونحوها"(٢)

وفي هذا جمع بين قضيتين متناقضتين يستحيل الجمع بينهما حسّاً وعقلاً، فمن البداهة أنّه إذا كانت القضية الأولى (انتظام الكون) صحيحة لزم منها أن تكون القضية الثانية (الفوضى في الكون) خاطئة حتماً، فلا يمكن أن تكونا صادقتين معاً، ولا يمكن أن تكونا كاذبتين معاً، فبينهما تناقض، إذْ صدقُ إحداهما ينقضُ حتماً صدقَ الأخرى فتكون كاذبة، وهذه من القضايا البدهية في التفكير الإنساني والتي لا تحتاج إلى استدلال.

وترى البراجماتية فكرة نقص العالم هي الأصح براجماتياً والأصلح. وأما تناقض أقوال (جيمس) حول انتظام الكون من عدمه فيعود لأسباب:

---

(١) وليم جيمس (١٩٦٥) . مرجع سابق ، ص ١٥٦

(٢) زيدان ، محمود فهمي (٢٠٠٥) . مرجع سابق ، ص ١٣٢

الأول : الاضطراب والتناقض يعتبران سمة بارزة في فكر (وليم جيمس)، ويتّضح هذا في مواقف عدة، منها موقفه من الأديان والأخلاق بل يمكن القول بأن " فلسفة جيمس فلسفة يمكن وصفها بأنها فسيفسائية، أو قل أحداثاً كثيرة متداخلة أو متخبطة، غير مستمرة ولا مستقرة، متشابكة، ملونة حزينة، إنه يقف بوعي الانسان عند حدود المحسوس المباشر شأن الحيوان سواء بسواء"(١).

السبب الثاني : أن البراجماتية قد تقول أحياناً بانتظام العالم لما يحققه هذا القول من مصلحة في الاستقرار النفسي والشعور بالأمان ليس إلاّ. يقول (جيمس) : "ليس للتدبير في الكون أي دلالة بمعناها المألوف، وإنما إذا أردنا أن نختبرها اختباراً براجماتياً أمكن القول: بأنّ التدبير يكسبنا ثقة في المستقبل، وأنّ العالم تسيره قوى عاقلةٌ لا قوانين عمياء، ويؤدي إلى الاطمئنان الغامض إلى المستقبل. إذا كان الاعتقاد في التدبير يؤدي إلى هذه النتائج؛ إذن فهي كل دلالته"(٢).

السبب الثالث : إعمال العقل في غير مجاله و غياب نور الوحي عن العقل البراجماتي.

مع أن الفطرة السليمة تدلّ الإنسان على أن لهذا الكون خالقاً مدبِّراً، تعترف به الفِطَرُ مهما طمستها غوايات الشيطان، وبلغت من العصيان ما بلغت، فقد كان الاستدلال بها – أي بإقرار الفطرة بوجود الخالق- على استحقاق الله تعالى للعبادة قال تعالى : (m l o n) لماذا؟ (p q r s t u v w x y z { ~ } | { ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾) (٣) وقال جل وعلا عن بداهة هذه القضية في الفِطَرِ: (~ } { ﴿ مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٦١ ﴾) (٤)، بل إن المنكرين لها لا يستطيعون إنكارها إلا من باب المكابرة التي تُوقعهم في التناقض –مثل ما سبق من حال

(١)جلال ، شوقي (٢٠١٠) مرجع سابق ، ص١٣٠. نقلاً عن Edward H.Maden , Chauncy Wright, Twane Pub., New York 1964.

(٢)زيدان ، محمود فهمي (٢٠٠٥) . مرجع سابق ، ص٤٩

(٣) سورة البقرة:٢١ - ٢٢

(٤)سورة العنكبوت:٦١

جيمس- ولا دليل معهم على موقفهم لتوافر الأدلة عليها، ومن أبرزها الإحكام والإتقان الذي ينكره (جيمس).

خلق الله تعالى هذا الكون في غاية الإحكام والإتقان الذي يدل العقول السليمة على وجود خالق مدبر له، فلا وجود للاضطراب في خلق الله تعالى أبداً :(8 9 : ; < > ? @ A B C D E F G H I J K L) [١]وفي تأكيد هذا الاتقان ، يقول جل وعلا: (وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾) [٢] ويقول تبارك وتعالى: (t u v w x y z { | } ~ ﴿٧﴾) [٣] فيعتبر دليل الإتقان من أقوى الأدلة في إثبات الخلق وانتظام الكون واستحقاق الخالق جل وعلا لتوحيد العبادة.

وإنسان التربية الإسلامية يستدل على هذه الحقيقة –خلق الكون واتقانه- بالوحي، وبما وضعه الله تعالى من آياته الكونية الدالة عليه.

أما معرفة خلق الكون على وجه التفصيل، وكيف خُلق، إنما هي من أمور الغيب التي لا تُعرف إلاّ بالوحي، ولا مجال للعقل فيها لأنّها من باب الخبر ، ومتى ما حاول الإنسان الخوض فيها بعقله خرج بآراء وضلالات لا دليل معه عليها، ولا يمكن إثباتها بأيّ حال من الأحوال.

فالبراجماتية تعامت ولم تنظر إلى دلائل وجود الخالق جلّ وعلا مع توافرها، كما تجاهلت حقيقة انتظام الكون وإتقانه، مع وضوحها للأعين والعقول السليمة، إلا أنها في المقابل أعملت العقل في السعي لمعرفة كيفية الخلق، من غير هداية الوحي، مع أنه أمر غيبي لا يمكن الاستدلال عليه، أو التأكد من صحة الأقوال فيه، فلذا وقعت في التناقض، بل والاغتراب النفسي الذي عبّر عنه (جيمس) بشكل واضح، في قوله: "فالكون المحكم الدقيق يكاد يخنقني باحتوائه، كل شيء في يقين لا يخطئ، وضرورته التي لا تترك مجالا للاحتمالات، وعلاقاته التي لا تنطوي على أدوات، تجعلني أشعر كما لو كنت قد وقّعت

(١) سورة المُلك:٣.

(٢) سورة النمل:٨٨.

(٣) سورة السجدة:٧.

عقدا لم احتفظ لي فيه بأيّ حقّ، أو بالأحرى كما مضطراً إلى أن أعيش في فندق ضخم، على شاطئ البحر، ليس لي فيه حجرة نوم خاصّة أستطيع أن ألوذ بها بعيدا عن التزلاء"[١]

السبب الرابع : أن البراجماتية لمجرد دافع الفردية، التي تريد من خلاله أن يكون للفرد دور في الكون، قالت بهذا القول لتترك مجالاً واسعاً لعمل الفرد في الكون، والتدخّل في صناعته، وبالتالي صناعة الظروف من حوله. فمن وجهة نظر البراجماتية يُعتبر من "الضروري أن تتدخل الشخصية الإنسانية الفردية في مجرى تفسير الكون، الذي ينبض من الداخل بشتّى التيارات التي لا يمكن أن تنصبّ في قوالب صارمة، ولا يمكن تفسيرها بطريقة (إستاتيكية[٢]) جامدة بل لابدّ أن ينطوي هذا التفسير على ذلك الجانب الإنساني الحيوي بكلّ ما فيه من فردية تمتاز بالشعور والإرادة. ولعل مثل هذا الأمر من الأسباب التي جعلت بعض المؤرّخين يصفون الفلسفة البراجماتية بأنها نزعة رومانسية فردية"[٣].

أما إنسان التربية الإسلامية فإنه يقف متوافقاً مع نفسه، ومع الكون من حوله، يعلمُ أدق التفاصيل عن خلق الله للكون، وكيف خلقه؟ وفي كم خلقه؟ وكيف سينتهي نظامه وينفرط عقده؟ وما هو دوره في هذا العالم؟.

يعلمُ كل هذا ويُصدق به، دون أن يطرأ على تفكيره أنّ اعترافه وتصديقه بأن للكون خالقاً، وأنه كون منتظم، سيحجّم دوره في هذا الكون، أو أنه بهذا الاعتراف سيقف موقف المتفرج مما يحدث في الكون. كلا إن إنسان التربية الإسلامية يعلم أن الله خلق هذا الكون وأبدعه، قال تعالى : (**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾**) [٤] بل وسخره بفضله ورحمته لخدمة الإنسان، فقال تعالى : (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مِّنۡهُ إِنَّ â ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ ç)

وقال تعالى:(u t s r q p o n m l k j i

---

(١) رشوان ، محمد مهران (١٩٨٤) . مرجع سابق ، ص ٥٤

(٢) تعني : ساكنة

(٣)رشوان ، محمد مهران (١٩٨٤) . مرجع سابق ، ص ٥٥

(٤)سورة البقرة: ٢٩.

v w x y z) [١] فانعكس هدا الايمان على سلوك الفرد المسلم، الذي انصرف تفكيره إلى استثمار طاقات هذا الكون المسخّر له، بعيداً عن فكرة الصراع التي كرستها الفلسفة البراجماتية في نظرها للكون.

هذه النظرة من إنسان التربية الإسلامية للكون -والتي تغيب عنها (نظرية الصراع) التي تفترضها البراجماتية في علاقة الانسان بالكون- تقوم على اكتشاف ما أودعه الله تعالى في الأرض من أسرار وقوانين، ليستثمرها في نماء الكون وإعماره والقيام بدور الخلافة فيه، مستخدماً ما وهبه الله من طاقات ووسائل أوّلية، تساعده في الدور المناط به. قال تبارك وتعالى: (μ ¶ ¸ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾) [٢]. وأنكر تعالى على من عطّل هذه الحواس أو أحدها، ولم يستفيد منها في الوصول إلى الحق (! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 9 : ; < = ? @ A B) [٣]

وإنسان التربية الإسلامية ينظر إلى التسخير في ثلاث مراحل لا تنفك إحداها عن الأُخرى :

المرحلة الأولى: هي مرحلة حسن استخدام طاقات الانسان (السمع والبصر والعقل). (μ ¶ ¸ ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾) [٤] وقال جل شأنه (z { | } ~ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن © قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾) [٥]

(١)سورة النحل:١٢.
(٢)سورة النحل:٧٨ .
(٣)سورة الأعراف:١٧٩.
(٤) سورة الحج : ٤٦
(٥)سورة الأعراف:١٨٥.

والمرحلة الثانية: هي دقّة النظر والملاحظة في الكون وتحويل القوانين المكتشفة إلى ممارسات وتطبيقات.

والمرحلة الثالثة: هي حسن الانتفاع بثمرات النظر والبحث التي تقوده إلى شكر الله[١]. (Z Y [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z)[٢]. فلا صراع مع الكون ولا اغتراب نفسي، وهذا هو الموقف الحق تجاه الكون.

وفي ختام هذا المبحث، يرى الباحث أنّ النزعة الفردية سمة بارزة في موقف البراجماتية من الكون، ونظرتها إليه، حيث اعتقدت أنّها بين أمرين لا ثالث لهما. فهي إمّا أن تقول بأنّ الكون قد خلق كاملاً منذ الأزل، وبالتالي لا دور للفرد فيه ولا عمل؛ وإمّا أن تقول بأنّ الكون ناقص فيمكن أن يجد الفرد فيه مكاناً لشيء يعمله. وبهذا فهي بين خيارين فإمّا الجبرية وإمّا النزعة الفردية، التي أصّلت في الفكر البراجماتي أنّ العلاقة مع الكون هي علاقة صراع. وقد اختارت القول الثاني فقالت بنقصان العالم والصدفة والإمكان والزمان لتضمن للفرد دوراً يعمله كما تزعم، وهي بهذا تخالف التربية الإسلامية تماماً بل وتخالف الفطر السليمة والعقول الصحيحة المُتفكرة في هذا الكون المُحكم فتبارك الله أحسن الخالقين.

(١) الكيلاني ، ماجد عرسان(٢٠٠٩) . فلسفة التربية الاسلامية . الأردن: دار الفتح للدراسات والنشر، ص ١٦١

(٢) سورة آل عمران: ١٩٠ – ١٩١.

المبحث الثاني : الفردية في نظرة الفلسفة البراجماتية للإنسان:

إنّ نظرة البراجماتية للإنسان نظرة مادية خالصة، ذلك أن البراجماتيين يؤمنون بأنّ الإنسان كائن مادي (بيلوجي)، فركزوا على الجانب المادي وحده، وأغفلوا حقيقة الروح وارتباطها بالنشاط الانساني، بل لم تفرق البراجماتية بين الروح والجسد واعتبرهما شيئاً واحداً؛ ممتزجان معاً في وحدة متكاملة ومتناسقة، وتتكون من هذا المزيج المتكامل المتناسق ذات الإنسان وشخصيته.(١)

فتدّعي البراجماتية أنّها لا ترى أي دليل علي وجود أي شيء روحي في الإنسان أو الطبيعة. فالإنسان قد تطور كجزء مادي من الطبيعة. ولـــمّا كان كذلك فعليه أن يتأقلم ليعيش فيها ويصارع لأجل البقاء مستخدماً ذكائه الذي ينمو من خلال تجربته (٢).

وترى البراجماتية أنه يتعذر الفصل بين الطبيعة البشرية والتجربة فالتجربة جانب مهم من جوانب الطبيعة البشرية، أمّا الطبيعة فهي المصدر الذي تصدر عنه التجارب .

يقول (ديوي) "إنّ العالم كله وحدة واحدة لا فرق بين ما هو طبيعي، وما هو إنساني. فهو عالم متصل يشتمل على الطبيعة والإنسان ونفسه وعقله وذكائه، باعتبار أن هذه الأمور كلها أجزاء من الطبيعة نفسها، والكل في حركة متّصلة وجريان دائم، وإن شئنا أن نعـــين مركزاً في هذا العالم المتّصل المترابط فهو الخبرة"(٣).

وعند تحليل كلام (ديوي) السابق فإنه يُلمَس وبوضوح تأثره بنظرية دارون، ذلك أنـــه يرى الإنسان والطبيعة شيئاً واحداً وجزءاً منها لا يمكن فصله؛ بل حتى العقل والذكاء ما هما إلاّ قوة يمتلكها هذا الكائن البيلوجي ليواصل صراع البقاء، وحتى أفعال الإنسان وأخلاقـــه ماهي إلا جزء من هذه الطبيعة التي يصفها (ديوي) بأنّها "تعيش وتعمل في بيئته كما تكون النباتات في التربية لا تستغني عنها"(٤) .

---

(١) عبد العال ، حسن (١٩٨٥) . مقدمة في فلسفة التربة الاسلامية . الرياض: عالم الكتب للتوزيع والنشر، ص ٣١

(٢) مرسى ، محمد منير (١٩٧٩) . اصول التربية الثقافية والفلسفية . القاهرة : عالم الكتب، ص٢٣٢

(٣) جون ديوي (١٩٦٠) مرجع سابق، ص ٧

(٤) ديوي ،جون(١٩٦٣) الطبيعة البشرية والسلوك الانساني.ت:محمد لبيب النجيحي.القاهرة: مؤسسة الخانجي، ص١٦

فالإنسان في نظر البراجماتية يجب أن يستخدم كلّ قدراته من أجل بقائه "فالعين لم تخلق في الإنسان لتنقل إليه ألوان قوس قزح، إنما خلقت فيه لتدله على مواضع الخطر تحت قدميه فتجنبه المهالك أولا ... فالعين أداة للحياة وكذلك العقل سواء بسواء ...يستخدمها الإنسان في المحافظة على الحياة أولا وفى تنميتها ثانيا"(١).

كما أن الإنسان في نظر الفلسفة البراجماتية عندما يخرج للحياة منذ اللحظة الأولى ليس بفاضل أو شرير، وإن نوعيته ستتحدد بناء على ما سيقدمه للمجتمع من تجارب وخبرات(٢).

حرية الإنسان :

تنظر البراجماتية إلى حرية الإنسان بأنه ذات صاحبة مشروعات وغايات واهتمامات. وكل نشاط لهذه الذات مع كثرتها وتباينها وعدم وحدتها، رهن بنوعية الغاية، التي هي غاية فردية. وكل الغايات خاضعة لتوجيه غاية كبرى سائدة تحددها الذات لنفسها، من خلال تحديدها لمصيرها. والفهم النظرى أو ما قد نسميه التعقل ليس سوى مصلحة واحدة بين أهداف ومصالح أخرى أيضاً تحدّدها الذات لنفسها. وعلى هذا فللإنسان مطلق الحرية في الفكر البراجماتي بأن يخلق قيمه وسلوكه ومعرفته في ضوء المعيار البراجماتي المبني على المنفعة، وذلك وفق غايات الذات الفردية، والتي اختارتها بحريتها التلقائية من واقع أحاسيسها المباشرة. وهذه الذات تمايز بين الأشياء، أو تفاضل بينها فى ضوء نفعها للحياة ولمشروعاتها المختارة فرديا. ويؤكد (جيمس) أن المفاهيم والأنواع أدوات غائية تخدم مصلحة الذات التي تكونت وتحددت من خلال فهم الذات للعالم.(٣)

وبناءً على ما سبق، يرى الباحث أنّ نظرة البراجماتية إلى الانسان هي نظرة مادية خالصة، جعلت منه مسؤولاً عن واقعه وخلق ظروفه المحيطة به، كما أنها قد بالغت في جعلها الانسان معياراً لكل شيء وأطلقت له الحرية الفردية حتى من الفردية ذاتها كما يقول (جيمس). فالفرد عند (جيمس) حر أيضا من (القانون الفردي)(٤). والإنسان هنا في حرية

---

(١) فام، يعقوب. (١٩٣٦) مرجع سابق ، ص١٥٨.

(٢) صالح ، هاني عبد الرحمن(١٩٦٧) . فلسفة التربية . الأردن: مطبعة الجيش العربي، ص ٨٠ - ٨١

(٣)جلال، شوقي (٢٠١٠) مرجع سابق ، ص ١٣٢ .

(٤)جلال ، شوقي(٢٠١٠) مرجع سابق ، ص١٣١ : نقلاً عن : William jams, some problems of phil . longmans, Green and co.Newyork, Bombay 1911.p.567

اختياره "شأنه شأن الحيوان الذي يتحدد سلوكه وفق أسلوب الثواب والعقاب، فيختار ما هو لاذّ، وينأى عن الألم. ولا سبيل إلى تعريف الحرية براجماتياً إلا بهذا الأسلوب، وذلك لأن ما تؤكده البراجماتية هو أننا لا نستطيع تعريف شيء ما تعريفا كافيا إذا ما أسقطنا في حسابنا مفهوم الفعاليات الوظيفية للقضية . إن الصدق يعنى التوافق مع الواقع وأسلوب التوافق هو مشكلة عملية ومشكلة ممارسة"(١)

وهذه النظرة الفردية للإنسان مرفوضة لأنها تتعارض مع حقيقة الانسان في التربية الإسلامية، والتي سيعرضها الباحث بإجمال فيما يلي، ليتضح البون الشاسع بين نظرة التربية الإسلامية للإنسان، والنظرة المادية الفردية التي نهجتها الفلسفة البراجماتية في تعاملها معه.

الانسان في التربية الإسلامية:

أولاً : الانسان كائن مكرم فهو كريم على الله، ذو مركز عظيم في تصميم الوجود، وهو أكرم من كل ما هو مادي؛ لأنّ كل ما هو مادي مخلوق له. وفيما يلي بعض معالم تكريم الانسان.

١- خلقه الله تعالى بيديه، قال تعالى : (قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥) (٢)

٢- نفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة قال تعالى : (فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٢٩) (٣)

٣ – أسكنه جنته جل وعلا، قال تعالى : (وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ) (٤)

٤- سخر له الكون المادي وأمره بعمارته، قال تعالى : (۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢) (٥) و قال تعالى : (ٱللَّهُ ٱلَّذِي

(١) جلال ،شوقي (٢٠١٠) . مرجع سابق ، ص ١٣٢

(٢)سورة ص:٧٥.

(٣) سورة الحِجر:٢٩.

(٤) سورة البقرة:٣٥.

(٥)سورة الجاثية:١٢.

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ´ µ ¶ ¸ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾) [1]، وقال تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾) [2]، وقال تعالى: (i j k l m n | p q r | t u v w x y z { | } ~ ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð Ñ Ò Ó Ô Õ Ö × Ø Ù Ú Û Ü Ý Þ ß à á â ã ä å æ ç è é ê ë ì í î ï ð ñ ò ó ô õ ö ÷ ø ù ú û ü ý þ ÿ) [3]

٥- الهداية للسجود والذي يعد من أعظم التكريم للإنسان، قال تعالى: (C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W | Y Z [\ | ^ _ ` a b c d | f g h i j k l) [4]

ثانياً: الانسان مخلوق من مادتين هما الروح والجسد، قال تعالى: (k l m n

(١)سورة إبراهيم:٣٢.

(٢)سورة إبراهيم:٣٣.

(٣)سورة النحل:١٢ - ١٨.

(٤)سورة الحج:١٨.

(~ } | { z y x w v u t s r q p o [١]

وهو مستعد -حسب تكوينه الذاتي- لأن يرتفع إلى أرقى من آفاق الملائكة المقربين، كما أنه مستعدّ لأن ينحطّ إلى أدنى من دركات الحيوان البهيم، ذلك أنّ "الله سبحانه وتعالى بحكمته وعجيب صنعه قد جعل الإنسان مركّبا من جوهرين : **جوهر طبيعي** كثيف وهو الجسم، **وجوهر روحاني** لطيف، وهو الروح، ومن شأن كل شكل أن يميل إلى شكله، ومن طبع كل مثل أن ينجذب إلى مثله، صار الإنسان ينجذب إلى العالم الطبيعي بما فيه من الكثافة وإلى العالم الروحاني بما فيه من اللطافة فصار في الإنسان قوتان متضادتان إحداهما تجذبه سفلا والثانية تجذبه علواً"[٢].

ومما لا شك فيه أن هذه النظرة لها انعكاساتها التربوية في معاملة الإنسان بواقعية تلبي حاجاته المادية والنفسية والروحية، على خلاف النظرة المادية المجردة التي تنظر إلى الإنسان من زاوية حاجاته المادية فقط.

ثالثاً : الإنسان كائن مكلف له حقوق وعليه واجبات يجب أن يقوم بها، وهناك ارتباط وعلاقة وثيقة بين نشاط الإنسان في الدنيا ومصيره في الآخرة، فالثواب في الآخرة موقوف على إحسان القيام بواجبات الخلافة في الدنيا.

رابعاً : تنظر التربية الإسلامية إلى أن الفطرة الإنسانية مؤمنة، وأن الإيمان حاجة فطرية فيها، كما أنه حاجة عقلية لا يملك الإنسان أن يستغنى عنها؛ لأنها مركوزة في كينونته، وهو مفطور عليها. "ما من مولود إلا ويولد على الفطرة"[٣]

خامساً : بما أن الفطرة الإيمانية هي الأصل في الإنسان فالتربية الإسلامية تؤمن أن الأصل في الإنسان الخير، و أن الشر طارئ عليه بما يكتسبه من التربية.ففي الحديث "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، وَيُنَصِّرَانِهِ ، وَيُمَجِّسَانِهِ ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ؟ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ

---

(١)سورة ص: ٧١ – ٧٢.

(٢) ابن القيم الجوزية (١٩٩٦). بدائع الفوائد .(ط ١) مكة المكرمة : مكتبة نزار مصطفى الباز. ج/٤، ص٩٥٤

(٣)صحيح مسلم (د.ت) بيروت: دار الجيل، ج٨ / ص٥٢

النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ "[١]

سادساً : مع أن الأصل في الإنسان الخير إلا أن لديه الاستعداد والحرية لسلوك أحد ألطريقين إما الخير أو الشر. قال تعالى : (r q p)[٢] أي طريقي الخير والشر، وبينا له الهدى من الضلال والرشد من الغي[٣] وهذه الحرية لها أثرها التربوي على المربي والمتربي أما المربي فسيتعامل مع المتربي بإيجابية ويسعى لتعزيز الجانب الخير في المتربي ، وأما المتربي فستعطيه أيضاً نظرة إيجابية في التعامل الايجابي مع نفسه وقدراته وطاقاته وسلوكه القابل للتحسين المستمر.

(١) صحيح مسلم (د.ت) مرجع سابق، ج٨ / ص٥٢.

(٢) سورة البلد:١٠.

(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر(١٤٢٠).تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان بيروت: مؤسسة الرسالة، ص٩٢٤

المبحث الثالث : معالم الفردية في نظرة البراجماتية للمعرفة :

يُعتَبرُ مبحث المعرفة من المباحث الفلسفية الرئيسة، التي شغلت حَيِّزاً من فكر الفلاسفة على مر التاريخ الفلسفي، إذْ غالباً ما تُطرح حولها أسئلة يحاول كل فيلسوف الوصول من خلالها إلى ماهية تلك المعرفة، ومن تلك التساؤلات التي يحاول الفيلسوف أن يعالجها : ما طبيعة المعرفة ؟ وما المصدر الذي يستقي الإنسان منه معرفته ؟ وهل في مستطاع الإنسان أن يصل إلى المعرفة (إمكانية المعرفة)؟وطريقة الإجابة عن هذه التساؤلات هي التي أوجدت الفرق بين الفلسفات.

ويرى الباحث أنه لا يمكن عرض موقف الفلسفة البراجماتية من المعرفة مباشرة دون الإشارة إلى موقف الفلسفات الأخرى منها لتمكن القارئ من معرفة الجديد الذي أضافته البراجماتية في هذا المجال، ويمكن بعد ذلك تمييز معالم الفردية في ما جاءت به البراجماتية في مبحث المعرفة. ولذا فإن الباحث سيتناول فيما يلي مشكلة المعرفة في سياق المقارنة مع الفلسفات الأخرى، وسيكون ذلك في ثلاثة محاور –وهذا التقسيم لخدمة غرض البحث ليس إلاّ- هي:

١) طبيعة المعرفة:

يمكن تقسيم الموقف تجاه طبيعة المعرفة قسمة ثلاثية هي : موقف الواقعية من طبيعة المعرفة، وموقف المثالية ، ثم موقف البراجماتية.

أولاً : طبيعة المعرفة في المذهب الواقعي :

عندما أجابت الواقعية عن سؤال : ما طبيعة المعرفة؟ كان مدار البحث عند أصحابها هو النظر فيما إذا كانت الفكرة من أفكارنا صورة مطابقة للشيء الخارجي الذي تشير إليه تلك الفكرة، أو غير مطابقة، ومتى يكون بين الفكرة والشيء الخارجي تطابق ومتى لا يكون؟

فانقسمت الواقعية إلى فريقين : الواقعية الساذجة، والواقعية النقدية[١]. فأجابت الواقعية

(١) عند إطلاق كلمة نقدية على أي فلسفة فتعني تلك الفلسفة التي تفرق بين المواقف ولا تطلق الإحكام العامة دون تفريق بل تتناولها بشيء من التحليل.

الساذجة بأن المعرفة هي صورة الواقع مطابقة للعقل، وأن العقل إنما هو لوحة قابلة لا فاعلية فيه، وكأنه آلة تصوير، أي أن معرفتنا هي صورة مطابقة للشيء المعروف.

أما الواقعية النقدية فتناولت المعرفة بشكل أكثر تحليلاً ، فقالت: إن المعرفة ليست هي التطابق التام الشامل بين الشيء المدرك و صورته في العقل، فكل مُدرَك له (صفات أولية) لا تنفك عنه، إذا أدركتها كان إدراكك مطابقاً للأصل الذي في الخارج، و(صفات ثانوية) هي ناشئة من اتصال الشيء الـــمُدرَك بالحواس، كاللون والطعم وغيرها."فالصفات الأولية والثانوية، كلتاهما تجيء إلينا من الشيء الخارجي عن طريق حواسنا، لكن الأولى صورة مطابقة للواقع؛ وأما الثانية فيتم تكوينها داخلنا بحيث لا تكون صورة مطابقة للواقع وإنما تكون دالة عليه ومن مجموعة المحصول الذي أحصله من هذه الصفات وتلك يأخذ عقلي في تركيب الأفكار"[١].

وبشكل أكثر وضوحاً، فإن الفرق بين الواقعية الساذجة والنقدية هي في مسألة الكليات والجزئيات ، فتتفقان أن مصدر المعرفة هو الحس، وما ينقله إلينا من الخارج؛ أي علاقة الصورة بأصلها؛ وتختلفان في أن الواقعية الساذجة ترى أن الكليات والجزئيات شيئ واحد، وأن ما ينقله لنا الحس هو حقيقة الواقع، أما الواقعية النقدية فترى أن الذي ينطبق على الواقع في الخارج هو الجزئيات دون الكليات ، بينما الكليات لا يتحقق انطباقها في الخارج وإن كانت دالة عليه.

ثانياً : طبيعة المعرفة عند المثالية :

هذه الفلسفة لا تعترف بوجود شيء خارج العقل. فلا وجود إلا لما يدركه عقل ما، وما ليس يدركه عقل ما يستحيل وجوده. فمعرفة الشيء ووجوده وجهان لحقيقة واحدة. فتكون طبيعة المعرفة هي نفسها طبيعة الوجود، أي ليس هناك أصل في الخارج و صورة عقلية في الداخل، وأن المدركات الكلية سبقت وجود الجزئيات في الطبيعة؛ أي تقول بأسبقية الفكر على الوجود. [٢]

(١) محمود ، زكي نجيب . (١٩٥٦) . نظرية المعرفة . القاهرة: مطبعة وزارة الارشاد القومي، ص ٢٧ .
(٢) المرجع السابق، ص ٤١- ٥١.

ثالثاً : طبيعة المعرفة عند البراجماتية :

يسمح العرض السابق بتبيين الإضافة التي قالت بها الفلسفة البراجماتية. فالمثالية قالت بأسبقية الفكر على الوجود أي وجود العقل العارف سابق على الشيء المدرك المعروف، والمثالية مباينة تماماً للفلسفة البراجماتية، أما الواقعية بنوعيها فكانت تناقش فيما إذا كانت الفكرة من أفكارنا صورة مطابقة للشيء الخارجي، الذي تشير إليه تلك الفكرة أو غير مطابق. وهذه المعرفة عندهم لا يلزم أن تؤدي بك إلى عمل تعمله.

وهنا تتجلى الإضافة التي جاءت على يد البراجماتية، بحيث لم تجعل طبيعة المعرفة، أسبقية الفكر على الوجود، أو حتى مجرد تصوير الواقع الخارجي بحسب ظن الواقعيين، بل جعلتها "أداة للسلوك العملي، أي أن الفكرة من أفكارنا هي بمثابة خطة يمكن الاهتداء بها في القيام بعمل معين والفكرة التي لا تهدي إلى عمل يمكن أداؤه ليست فكرة ، بل ليست شيئا على الإطلاق، إلا أن تكون وهماً في رأس صاحبها"(١)

لكن ما علاقة هذا بموضوع البحث؟ إن الباحث أراد أن يصل إلى توضيح دقيق في الفرق الذي جاءت به الفلسفة البراجماتية فيما يتعلق بطبيعة المعرفة، كي يتوصل إلى النتيجة التالية:

إن البراجماتية في طبيعة المعرفة هي فلسفة تجريبية أي أنّها تعتمد على الحسّ في الوصول إلى المعرفة، إلاّ أنّها لم تقف عند حدود التجربة بل ربطت بين الأفكار والنتائج المتّرتبة عليها، فجعلت الفكرة صحيحة بقدر ما تحقّق من نفع ورضا.

وهنا يمكن مناقشة البراجماتية حول هذه الفكرة للكشف عن معالم الفردية في نظرتها للمعرفة، وذلك بطرح السؤال التالي عليها: هل الرضا، والاقتناع، وتحقيق المنفعة مقولات موضوعية أم ذاتية؟.

قطعاً لن يقول أحد بأن هذه مقولات موضوعية لعدم خضوعها لأي معيار مستقل عن الذات، لذا فإنه من المسلَّم به أن الرضا والاقتناع بالفكرة والمنفعة حالات ذاتية بل و فردية لأنّه من الصعب جداً -إن لم يكن من المتعذر- أن يتحقق الرضا والمنفعة عن فكرة واحدة ويجمع على قبولها كل أو أغلب الناس. وهذا بلا شك تأكيد لمقولة بروتاغوراس

(١) محمود ، زكي نجيب . (١٩٥٦) . مرجع سابق، ص ٣٠

(Protagoras)، والتي قال فيها :"الإنسان مقياس الأشياء جميعا، هو مقياس وجود ما يوجد منها ومقياس لا وجود ما لا يوجد"[١].

وهذا هو الفرق الذي أحدثته البراجماتية في طبيعة المعرفة فقد نقلتها من الاكتفاء بالتجربة الحسّية عند التجريبيين، إلى الخضوع لأحكام ذاتية ووجدانية تخرجها حتى عن أصل منهج الفلسفة البراجماتية، الذي هو في أصله منهج تجريبي، يؤمن بأنّ المعرفة مرتبطة بالتجربة أولاً.

صحيح أنّ البراجماتيين قد يختلفون في درجة الاقتراب أو الابتعاد عن هذا المفهوم إلاّ أنّ المحصلة النهائية هي الاتفاق على أنّ الفائدة هي المعيار. فـ(بيرس) يعتقد أنّ "الفكرة هي خطوة تمهيدية للعمل، ولإحداث النتائج في هذا العالم المحسوس ، ثم أتى بعده (جيمس) ليضيف أنّ كلّ عقيدة تؤدي إلى نتيجة مرضية أو حسنة، إنما هي عقيدة حقيقة، فليست الفكرة مشروعاً للعمل فقط، وإنما العمل والنتائج هما الدليل علي صحة الفكرة، وبذا أخرجنا من معنى الفكرة أو مدلولها إلى عالم الحقائق فأصبح العمل أو النتائج التي ستترتب على الفكرة برهاناً على صحة الفكرة بعد أن كان معنى لها"[٢].

ومن الأدلة الصريحة التي تدعم ما ذهب إليه الباحث - من أنّه يلزم من هذا الربط البراجماتي بين طبيعة المعرفة والمنفعة أنها فلسفة ذاتية فردية- قول (بيرس) : "فكرتي عن أي شيء هو فكرتي عن آثاره المحسوسة"[٣] ،ومن ثّم يكون الموضوع عنده هو إجمالي التصورات الذهنية في ارتباطها بذاته، ويغدو الموضوع هو الاعتقاد أو الفكرة التي نتجت عنه.

وستتضح معالم الفردية بشكل أكبر عند مناقشة (فكرة الحقيقة) عند الفلسفة البراجماتية.

٢) مصدر المعرفة :

مثلما قد حصل الخلاف بين المثالية والواقعية في طبيعة المعرفة؛ فكذلك حصل الخلاف بين العقليين والتجريبيين في مصدر المعرفة.

---

(١)كرم ، يوسف (٢٠٠٩) . مرجع سابق ، ص ٦٣.

(٢)فام، يعقوب. (١٩٣٦) مرجع سابق ، ص١٥٠

(٣)جلال ، شوقي (٢٠١٠) مرجع سابق ، ص١٢٠

أولاً : مصدر المعرفة عند العقليين :

ذهب العقليون إلى أن مصدر المعرفة هو العقل أولاً، وأن القوة العاقلة "هي الأصل الذي يصدر عنه كل علم حقيقي، وأنها –أي القوة العاقلة- على الأخص مصدر أهمّ صفتين يتّصف بهما العلم الحقيقي : الضرورة، والصدق المطلق"(١)

ثانياً : مصدر المعرفة عند التجريبيين :

أرجع التجريبيون كل علم إلى التجربة، فصفوا العقل بأنّه صفحة بيضاء يتلقّى ما ينقله له الحس والتجربة. ويمكن القول بأن "العلاقة بين المذهب العقلي والمذهب التجريبي هي أن مذهب التجريبيين يرفض فكرة العقليين لا العكس: بمعنى أن العقليين ينكرون فقط وجود علم ضروري صادق على الإطلاق يكون مصدره التجربة وحدها، ولكنهم يسلمون بأن التجارب تمدنا بجزء كبير من تفاصيل الحقائق التي نعلمها، في حين نجد التجريبيين على عكس ذلك يرفضون رفضاً باتاً أن يسلموا بوجود عقل له القدرة على ابتداع المعاني والتصورات والتأليف بينها، ويطبع العلم الإنساني برمته بطابع الصدق والحق"(٢).

ثالثاً : مصدر المعرفة عند الفلسفة البراجماتية :

يمكن هنا التساؤل : ما الجديد الذي تقدّمه البراجماتية في نظرتها لمصدر المعرفة ؟

تزعم البراجماتية أنّها جاءت حلّاً للإشكالات المتمثلة في الجدل حول مصدر المعرفة هل هو العقل مطلقاً مثلما قال العقليون أم التجربة والحس هما المصدر مثلما قال التجريبيون أم أن هناك حلاً آخر؟.

إنَّ الفلسفة البراجماتية فلسفة تجريبية -كما سبق بيانه في الفصل السابق- إلا أنها قد طورت التجربة فلم تقف عند حدودها الظاهرة، بل ربطت بين التجربة والفائدة المترتّبة عليها، فاعترفت بالمعرفة المبنية على التجربة الحسّية، وربطتها بحكم آخر خارج عنها – وإن كان داخل في التجربة الذاتية (الخبرة) - متمثل في إدراك تحقّق الفائدة، وهي هنا تشابه

(١) كوليه، أُزفلد(١٩٥٥) المدخل إلى الفلسفة . ت . أبو العلاء عفيفي . القاهرة : لجنة التأليف والترجمة . ط ٣. ص٢٧٠.

(٢) كوليه، أُزفلد .(١٩٥٥) مرجع سابق، ص ٢٧١.

الرواقية في محاولتها الجمع بين التجربة الحسية والتقدير العقلي للمنفعة، حيث تجمع بين ما يراه العقليون من جهة وبين ما يراه التجريبيون من جهة أخرى، مضيفةً أمراً ثالثاً إلى العقل والحس هو تحقيق الرضا والنفع.

ولـــمّا كانت البراجماتية قد جعلت طبيعة المعرفة ذاتية فردية، فكذلك فعلت مع مصدرها فجعلت الحكم الذاتي -بناء على المنفعة المترتبة- هو معيار قبول كل معرفة أو ردها، يقول (جيمس) إن الطريقة البراجماتية في تقييم المعارف هي في"اقتفاء أثر نتائجها العملية"[١] بل اعتبرت الخوض في مصدر آخر يعتمد على غير هذا المعيار من الأمور التي تدعو للعجب، حيث يقول:" إنّه لأمر يحيّر يدعو إلى العجب والدهشة أن نرى كم من المنازعات الفلسفية تتساقط وتهوي إلى خواء معدوم المعنى بمجرّد أن نخضعها لهذا الاختبار البسيط من تتبّع نتيجة ملموسة، أو أثر محسوس، وفي سلوك لاحق يترتب على تلك الحقيقة المفروضة على إنسان ما، بكيفية ما، في مكان ما، في زمان ما. إنّ وظيفة الفلسفة برمتها ينبغي أن تتركّز في أن تجد ما هو الفرق المحدد الذي سيحدث لك أو لي في لحظات محدودة من حياتنا إذا كان هذا التغيير للعالم أو ذاك هو التغيير الصحيح"[٢]، وإذا لم يكن هناك فرق في النتائج بين كون الفكرة صحيحة، وبين كونها باطلة، فتكون الفكرة زائفة. وهنا يمكن القول إنّ التجربة التي تحقق المنفعة وترتبط بها هي المصدر الأول للمعرفة عند البراجماتية.

لكن ما الحل إذا عجزت التجربة النافعة في الوصول إلى المعرفة؟ هل هناك مصدر آخر عند البراجماتية؟

نعم هناك مصدر آخر عبّر عنه (بيرس) بمصطلح : (الحس المشترك)[٣]. و سّماه (جيمس) (الفهم المشترك)[٤]. وهو يتناول عند (بيرس) الأفعال الغريزية للفرد، والتي تفسر قيامه بعمل معّين دون غيره متّبعاً غريزته. وأما معناه عند (جيمس) فهو تصّورات ذهنية معينة يستخدمها الإنسان في تفكيره من قديم الزمن ولا يزال يعتقد ها حتى اليوم. ويقرر جيمس " أن مصدر هذه التصورات أن الإنسان الأول كان قد اكتشفها ثم صاغها فلاسفة

(١) جيمس، وليم (١٩٦٥) مرجع سابق ، ص٦١ .
(٢)وليم جيمس (١٩٦٥) . مرجع سابق ، ص ٦٩ - ٧٠
(٣)المرهج ، علي عبد الهادي . (٢٠٠٨) مرجع سابق ، ص ١١٠
(٤) زيدان ، محمود فهمي (٢٠٠٥) . مرجع سابق ، ص ٥٣

وعلماء صياغة دقيقة ... وانتقلت هذه المقولات من جيل لآخر وثبتت في الأذهان، وأصبحت عقائد مستقرة نسميها عقائد الفهم المشترك"[١]. وعند سؤاله لماذا تأخذ بها؟ يجيب بمنطق البراجماتي قائلاً: "لأنها نافعة لنا تخدمنا في أغراضنا العملية سواء في مجال الحديث أو الفكر"[٢].

إذاً فالغريزة مصدر للمعرفة عند البراجماتية، كما يقول (بيرس). وهذا أمر ذاتي فردي يختلف باختلاف الأفراد وتعدّدهم، ولا يمكن أن يقال إن الغريزة أمر موضوعي، وكذلك الفهم المشترك عند (جيمس) هو أمر ذاتي لا موضوعي.

ويعبر (بيرس) عن فكرة (الحسّ المشترك) الذي هو الغريزة -محاولاً جعل ذلك منطقياً- فيقول: "أنت لا تعتقد بالطبع أنّ كل دجاج يخرج من البيضة يجب أن يفتش بين كل النظريات المحتملة حتى يقع على فكرة التقاط شيء ما وأكله، بل على العكس أنت لا تعتقد أنّ لدى فرخ الدجاج فكرة غرائزية للقيام بذلك أي أنه يستطيع أن يفكر بذلك لكن لا يمتلك القدرة على التفكير بشئ سواه . لكن إذا كنت تعتقد بأنّ لدى فرخ الدجاجة ضعيف ميلا غريزيا نحو حقيقة وضعيته فما الذى يدعوك إلي الاعتقاد بأن الإنسان فقط حرم من هذه الموهبة "[٣]

ويعتقد (بيرس) أنّ الاعتقادات الغريزية هي أجدر بالثقة من النتائج التي توصّل إليها العلم وأن "الحيوانات خصّت نفسها بصورة طبيعية لأن تكون منقادة بغرائزها في كل جزء من جزيئات الحياة، فهي تعيش بالضبط كما أراد لها الخالق أن تعيش، والنتيجة هي أنّها من النادر جدا أن تقع في خطأ ... فالاعتقادات الغريزية بهذا هي أكثر موثوقية من النتائج التي توصل إليها العلم "[٤]. ويبدو أن تفسير (بيرس) في قوله بصدق الغريزة ناتج عن تأثّره بنظرية الانتخاب الطبيعي والصراع من أجل البقاء (الداروينية).

و يؤكد (بيرس) على أهمية الغريزة مصدراً من مصادر المعرفة في قوله: "كل المعرفة البشرية إلى حد أعلى درجات من العلم هي مجرد تطوير لغرائزنا الحيوانية، فإذا لم يكن

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٣

(٢)المرجع السابق ، ص٥٣

(٣)المرهج ، علي عبد الهادي . (٢٠٠٨) مرجع سابق ، ص ١١١

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة.

للإنسان أي ميل طبيعي استنادا للطبيعة، فإنه لا يوجد فرصة لفهم الطبيعة إطلاقا"[١].

ويُستغربُ هذا من عالم يرى ذاته أنه تجريبي لا يؤمن بغير الحس والتجربة، وهو القائل: "إني أصبحت براجماتياً أو تجريبياً ... ونظراً إلى تبني هذا الاتجاه فأنا لا أؤمن بأي شيء لا أدركه حسياً"[٢]

أما الفهم المشترك عند (جيمس) فقد أكّد على أهمية الغرائز مصدراً من مصادر المعرفة. فلما وُجِّه إليه نفس السؤال؛ الذي وُجِّه لـــ(جون لوك) يوماً عن مصدر المعرفة عنده، فقال: (سأجيب بكلمة واحدة: هي التجربة). ولما سئل (جيمس) هذا السؤال أجاب بكلمتين هما: (الفهم المشترك إنه مصدر معرفتنا).[٣] وهذا موقفه بكل وضوح من أنّ الغريزة مصدر للمعرفة عند البراجماتيين.

و لم يكن (ديوي) بعيداً عن (بيرس) و (جيمس) في النظر إلى أن الغريزة هي مصدر من مصادر المعرفة؛ إلا أنه صوّرها بشكل مختلف، جعله يركّز على الخبرة المباشرة للفرد، بالرغم من أنّه اعتبر المعرفة أمراً فطرياً بيولوجياً "جعلها آلة أو وظيفة تظهر في الكائن الحي عندما تصادفه عقبة ... فالمعرفة آلة أو وظيفة في خدمة مطالب الحياة"[٤]. ولا يفرق بين الإنسان ومصدر المعرفة واكتسابه لها، لأنه يرى "أنّ العالم كله وحدة واحدة لا فرق بين ما هو طبيعي وما هو إنساني، فهو عالم متصل يشتمل على الطبيعة والإنسان ونفسه وعقله وذكائه، باعتبار أنّ هذه الأمور كلّها أجزاء من الطبيعة نفسها، والكلّ في حركة متّصلة وجريان دائم، وإن شئنا أن نعيّن مركزاً في هذا العالم المتّصل المترابط فهو الخبرة"[٥]. ولا يخفى -في هذه الفكرة التي ذكرها (ديوي)- تدخل الجانب الذاتي، بل والغرائزي في تحديد المعرفة المكتسبة عن طريق الخبرة. فالمعرفة في نظر (ديوي) عملية وظيفية، ولا يبدأ البحث عن المعرفة إلا عند ما يواجه الإنسان مشكلة[٦].

---

(١)المرهج ، علي عبد الهادي . (٢٠٠٨) مرجع سابق ، ص ١١٢ نقلا عن : Feibleman : An introdcton to the philosophy of C.S.peirce .p196

(٢)المرهج ، علي عبد الهادي . (٢٠٠٨) مرجع سابق ، ص ٩٨

(٣)زيدان ، محمود فهمي (٢٠٠٥) . مرجع سابق ، ص ٥٣ .

(٤) يوسف كرم (٢٠٠٩) . تاريخ الفلسفة الحديثة. القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، ص ٤٦٧ .

(٥) جون ديوي (١٩٦٠) مرجع سابق، ص ٧

(٦) محمد فتحي الشنيطي(١٩٨٠) . المعرفة . ط ٥ . القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر ، ص ٢١٨

ورغم أن هذه الفكرة –أي اعتبار الغريزة مصدراً للمعرفة - تعارض البراجماتية بوصفها فلسفة تجريبية، إلاّ أنها متّسقة مع البراجماتية بوصفها فلسفة نفعية، باعتبار أن البراجماتية تبحث عن الآثار العملية والمفيدة والنافعة للفرد سواء أكانت متأتية من معتقد غريزي، أو من معتقد استنتاجي عقلي أو من معتقد مصدره التجربة والخبرة، وأياً كان المصدر، فمن الواضح أن الهدف هو البحث عن الآثار العملية النافعة للفرد فحسب.

٣) – الحقيقة في الفلسفة البراجماتية:

تعدّ مشكلة الحقيقة أو الصدق من المشكلات التي اعتنى بها الفلاسفة، لأنّها تشكّل أهمية في فضّ الخلاف المترتب على ما هو زائف (كاذب) ، وما هو حقيقي (صادق)، كما شمل الاهتمام مسألتين متعلقتين بمبحث الصدق، **الأولى** : تتعلق بمعنى اللفظ أو (الحقيقة)، **والثانية:** تتعلق ببناء المعايير التي يمكن بواسطتها الحكم على الأقوال والأفكار بالصدق أو الكذب، وهنا تبرز مشكلة التداخل بينهما إلى درجة "يتعذّر معها في الغالب إدراك الفرق بينهما . وليس أدلّ على ذلك من أنّ معظم الفلاسفة يركزون اهتمامهم أثناء بحثهم لموضوع الصدق على تقديم المعايير التي تميّز بين ما هو صادق و ما هو كاذب، ولا تكاد تجد شيئاً يذكر عن معنى الصدق، أو معنى اللفظ المقابل له أعني الكذب"(١).

ومن أشهر النظريات التي تحدثت عن موضوع الصدق نظريتان هما:

أ) – نظرية التطابق .

ب) – نظرية الاتّساق أو الترابط.

فما هما هاتان النظريتان:

أولاً : نظرية التطابق :

"مفادها أن العبارة (أو القضية ، أو الحكم ، حسب المصطلحات الفنية التي يفضلها الفلاسفة) تكون حقيقية إذا كانت تطابق واقعاً موضوعياً"(٢)

(١) رشوان ، محمد مهران (١٩٨٤) . مرجع سابق ،ص ٥٨

(٢) ميد، هنتر (٢٠٠٥) . الفلسفة أنواعها ومشكلاتها . ت: فؤاد زكريا . ط ٢ . القاهرة: شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ،ص١٦٢

ويعني هذا أنه لا بد من تطابق الفكرة أو الاعتقاد مع العالم الخارجي. فلو قال قائل: "في جيبي قلم". لكان الصدق والحقيقة متوقفين على الوجود الفعلي لهذا القلم، وإذا لم يكن هناك قلم فالقول كذب.

ورغم أن هذا المفهوم يبدو في غاية البساطة في الأمور المادية المحسوسة؛ إلاّ أنه يأخذ جانباً من الصعوبة إذا ما أُريد تطبيقه على الغيبيات أو الموجودات التي لا تخضع للحس مباشرة. فلذا يبدو أنه لا يصلح لأن يكون معياراً مطلقاً للحقيقة، حيث "لا يمكن تطبيقها والاعتماد عليها إلا عندما تستخدم بدقة في مجالات معينة، بل حتى في الحالات التي تنطبق فيها بالفعل على موقف ما فلابد أن تكون هناك وسيلة تكميلية"(١) فهي أكثر تماشياً مع الفلسفات ذات النسق المادي.

ثانياً : نظرية الاتساق :

مفادها "أنّ العبارة والقضية تكون صحيحة إذا كانت تنسجم مع حقائق أخرى مقررة أو متسقة مع معرفتنا ككل"(٢) فلو قال قائل هذه الفكرة غير صادقة لأنّها غير متّسقة أو مترابطة مع ما عندي من مسلّمات سابقة لكفى للحكم عليها .

ومن أفضل المجالات التي يمكن ضرب المثال بها لتبيين الفكرة هو مجال الرياضيات التي تُبنى فيها الحقيقة والصدق على الخطوات الاستنباط المتسلسلة خطوة تلو الأخرى، وهذه الخطوات مبنية على المسلمات الرياضية السابقة، فيلزم منها قبول النتيجة التي سارت على هذا النسق في نهاية المسألة لكونها متسقة مع المسلمات السابقة لها.

وقد لاقت هي الأخرى هجوماً من مخالفيها من التجريبيين الذين يقولون "إنّ جنّة المعرفة هذه تربض فيها حية رقطاء هذه الحية هي نظرية الترابط، وكذالك كل النُسق الاستنباطية المبنية عليها لا تنطوي على حقيقة على الإطلاق"(٣)

وبعد هذه المقدمة يتبادر سؤال منطقي هو: ما الجديد الذي جاءت به الفلسفة البراجماتية في (نظرية الصدق)؟ وأين تبرز نزعتها الفردية في هذا الجديد؟

---

(١) المرجع السابق، ص١٦٤

(٢)المرجع السابق، ص ١٦٨ -١٦٩ .

(٣) هنتر ميد ، (٢٠٠٥) مرجع سابق، ص ١٦٩ .

الحقيقة عند الفلسفة البراجماتية:[١]

عند التعريف بفيلسوف البراجماتية الأول (بيرس)؛ أشار الباحث إلى أن فلسفة (بيرس) تدور حول محورين أساسيين، هما مشكلة (المعنى) ومشكلة (الاعتقاد) .

ويقصد (بيرس) (بالمعنى) ما يترتب على الفكرة أو العبارة من سلوك يتحدّد معناها في ضوئه أو هي " مجموعة ما يمكن للإنسان أن يؤديه من أعمال مسترشداً بالكلمة أو العبارة وما ليس يهدي إلى عمل معين فلا معنى له، فالأفكار – أي الكلمات والعبارات – إما أن تكون خططاً للسلوك العملي، أو لا تكون شيئاً على الاطلاق. فإذا وجدت فكرة – مهما يكن أمرها- لا تدلّ على أنواع السلوك الذي تسلكه في عالم الواقع فاعلم أنها فكرة باطلة، أو قل إنها ليست شيئا. ولا يستثني (بيرس) من هذه القاعدة أيّ نوع من الأفكار سواء كانت هذه الأفكار تأمّلية (عقلية) أو غيبية (ميتافيزيقية)، حيث يرى أن ما شغل الفلاسفة من مسائل الوجود المتعلقة بالكون والإنسان والروح هل هي خالدة أم فانية ؟ والعقل والمادة أهما عنصران مختلفان أم أن أحدهما يمكن رده للآخر"[٢] ويرى (بيرس) في جميع هذه المسائل أنها ليست مشكلات حقيقية، بل هي مجرد كلمات لا معنى لها، لأنها لا ترسم سلوكاً، وكذلك لا تدخل في حدود الخبرة البشرية فعلاً أو مكاناً. فمعنى الكلمة أو الفكرة هو السلوك الذي يترتّب عليها. فيقول"ماذا في وسعك أن تعمله إزاء العقل والمادة لتعلم إن كانا عنصرين مختلفين أو لم يكونا ؟ و ماذا في وسعك أن تعمله لتعلم أنّ الروح خالدة أو فانية؟ وعلى أي وجه يتغير السلوك إذا كان العقل والمادة عنصرين مختلفين أو متفقين؟ وماذا يكون نوع الآثار العملية المشاهدة في عالم الواقع حين تكون الروح فانية؟ واضح ألاّ سلوك يقابل أمثال هذه المشكلات، وبالتالي فلا معنى لها، وإذن فهي مشكلات زائفة"[٣]

وهنا تبرز مادية (بيرس) وتجريبيته الخالصة، المتمثلة في رفضه لكل معرفة خارج نطاق التجربة. فالمشكلة الحقيقية عنده هي ما كان حلها والاجابة عن تساؤلاتها خاضعاً

(١)المرجع السابق، ص ١٧٢ . وقد عدها (هنتر ميد) النظرية الثالث في الحقيقة.

(٢)محمود ، زكي نجيب (١٩٨٢). مرجع سابق، ص ١٢٣.

(٣)محمود ، زكي نجيب (١٩٨٢). مرجع سابق، ص ١٢٤.

للتجارب العملية.

ولكن هل يقول (بيرس) هنا بنظرية المطابقة أم بنظرية الاتساق؟

إنّ البراجماتية عند (بيرس) لم تقل في الواقع بأي من النظريتين مجرّدة، بل جاءت البراجماتية بشيء جديد هو الأثر المترتب على الفكرة. فلم تقل بأنّ الحقيقة أو الصدق هو مطابقة الفكرة للواقع فقط، بل نظرت إلى آثار الأفكار، أي ما ينبني على تلك الأفكار من سلوك يمارس في عالم الواقع، وهذا هو الجديد.

إن (الاعتقاد) الصحيح –في نظر بيرس- هو ذلك الاعتقاد الذي يُحدث تغييراً في سلوك الفرد وممارسته بناءً على التجربة، أمّا إذا أثبتت التجربة في الواقع ما يخالف الاعتقاد فيكون الاعتقاد حينئذٍ خاطئاً. ومثال ذلك لو اعتقدت أنّ الكرسي الموجود أمامك ثقيل فإنّ السلوك المترتب على ذلك إذا أردت تحريكه هو أن تستعد استعداداً بدنياً وعضلياً يتناسب مع ما يقابله من ثقل مُعتقد؛ فإن كان الواقع بعد التجربة وحمل الكرسي يتطابق مع ما كُنت تعتقده فهذا الاعتقاد صحيح –وهذه نظرية المطابقة، لكن بالنظر للسلوك المترتب على الاعتقاد- فيبقى كما هو. وأما إن كانت التجربة تثبت عكس الاعتقاد –أخف أو أثقل- فهنا يبرز ما يسميه (بيرس) الشك في صواب ما كان معتقداً له فيجب تغيير الاعتقاد ليتناسب مع نتائج التجربة.

وهنا ينظر بيرس إلى المطابقة من ناحية السلوك المترتب على التجربة وليس التجربة فقط لأنّه لا معنى لقول، ولا أساس (لإعتقاد) إلاّ إذا كان ذلك (المعنى) وذلك (الاعتقاد) خطة سلوكية يمكن أداؤها وإلّا أصبح غير ذي (معنى)، ولا هو بالفكرة التي يصح أن تشكّل (اعتقاداً)، وهذا هو خلاصة البراجماتية عند مؤسسها ولبها.[١]

ولكي تتضح الصورة أكثر -في أنّ البراجماتية لا تأخذ بنظرية المطابقة- فإن مقصود البراجماتي في (مطابقة الفكرة) عند الحديث عن (المعنى) هو حديث عن مجموع التوقّعات العملية التي يقود إليها هذا المفهوم. فإن حديث البراجماتية عمّا سيحدث مستقبلاً، وأي فكرة لا تكون قابلة للتحقق تجريبياً أي (بدون توقعات عملية) تكون بلا معنى[٢]. وبهذا يبرز

(١)محمود ، زكي نجيب (١٩٨٢). مرجع سابق، ص ١٣٢.

(٢)رشوان ، محمد مهران (١٩٨٤).مرجع سابق ، ص ٦١-٦٢.هنتر ميد ، (٢٠٠٥) مرجع سابق، ص ١٧٢ – ١٧٣ .

الجديد عند (بيرس) والبراجماتية بوجه عام.

وهذا ما ذهب إليه (جيمس) أيضاً، حيث جعل الصدق مطابقة الواقع لكنه لا يقصد بالمطابقة ما سبق تعريفه عند التجريبيين، بل يقول: "إن الصدق ليس في المطابقة وإنما في إثراء العالم الموجود وإمداده بالجديد"(١). فهو يرى أنّ الصدق هو ما يترتّب على الفكرة والتجربة من عمل مستقبلي، وليس فقط مجرّد مطابقة الواقع بل يجب أن تكون ذات فائدة ومنفعة. ويقول (جيمس) : "فعلا إنّ صدق الفكرة يقاس بمدى ما تحققه من قيمة فورية منصرفة"(٢). وقد قصد (جيمس) من ذلك التأكيد على الدور المؤثّر الذي ينبغي أن تقوم به الأفكار والمعتقدات في حياتنا العملية، إنّ هذه الأفكار أو النظريات في نظره يجب أن تصبح أدوات ووسائل، ليمكننا أن نتحرك إلى الأمام ونمضى قدما في حياتنا العلمية، إن فكرة ما، أو نظرية ما، لا تكون صحيحة إلا بقدر ما تسهم به في حل مشكلة معينة بنجاح، وبقدر ما تساعدنا على تجاوز المشكلة والتقدم إلى الأمام (٣).

فوجهة نظر الفلسفة البراجماتية في المعرفة قائمة على أساس التجربة الشخصية الجزئية النسبية بغرض النفع، لا على التجربة العلمية التي غايتها العلم.

ويمكن مناقشة (بيرس) في قصده بالتجربة التي يبني عليها الحكم بصحة الاعتقاد وكذلك السلوك الذي يجلّي معاني العبارات والأفكار، بتساؤلات بديهية هي: أي تجربة يقصدها (بيرس) لتثبيت الاعتقاد؟ ومن الذي تكون تجربته هي التجربة المعتمدة في الحكم؟ ومن الذي يعدُّ سلوكه معياراً لصدق معنى العبارات والأفكار ؟ من هو؟.

أهُمْ مجموع أفراد المجتمع، أم هم مجموعة أفراد العلماء التجريبيين، الذين يجب أن يتوقف الناس في حكمهم على ما يعتقدونه في أي أمر بصواب أو خطأ، حتى يصدر رأي هذه المجموعة فيه والمبني على تجربة المختبر المادي التجريبي؟.

فإن قال : المقصود هم مجموع أفراد المجتمع، فقطعاً سيكون هذا من المحال لاستحالة أن يجتمع أفراد المجتمع على نتيجة واحدة لتجارب مختلفة وظروفٍ متباينة؛ إلا إذا أوجدنا

(١)زيدان ، محمود فهمي (٢٠٠٥) . مرجع سابق ، ص ٧٩

(٢)المرهج ، علي عبد الهادي . (٢٠٠٨) مرجع سابق ، ص ٢٧.

(٣) النشار، مصطفى (١٩٩٨). مرجع سابق ، ص١٦٦.

(المجتمع المعملي)[١] المتخيّل، الذي ينادي به (بيرس)، وكذلك مجموعة أفراد العلماء التجريبيين من المحال أن تتفق تجارب الجميع على رأي واحد يشكّل المعنى أو يثبّت الاعتقاد.

فيلزم أن تكون التجربة هي تجربة فردية والسلوك سلوكاً فردياً، فيكون (بيرس) قد أقام فلسفته في (المعنى والاعتقاد) على هذا الأساس ،ويلزم أن تكون المعرفة والحقائق نسبية متغيرة بتغير التجارب والأفراد والظروف، وهذا هو اعتقاد البراجماتي.

ولذا حاول (بيرس) الخروج من الفردية في مذهبه بأن جاء بفكرة تثبيت (الاعتقاد) والتي شرح فيها مناهج الناس إزاء تثبيت اعتقاداتهم ، حيث زعم أن الأسلوب الأول هو: أن الناس يثبت اعتقادهم إزاء مشكلة ماء عندما يكرروا موقفهم نفسه في كل مرة تبرز تلك المشكلة فتزيد ثقتهم بسلوكهم تجاهها ويثبت إعتقادهم.

وأما الأسلوب الثاني: في تثبيت الاعتقاد -عند بيرس- فهو الاستناد إلى سلطان معين، كسلطان التقاليد أو سلطان الثقات من الأقدمين، أو هو كما يقول "جعل إرادة الدولة تعمل بدل من إرادة الفرد"[٢]. وقد بالغ في تأييد هذا الأسلوب إلى أقصى مدى، حيث ذهب إلى أن "المذبحة العامة لكل الذين لم يفكروا بطريقة معينة كانت قد برهنت الوسائل الفعالة لتسوية الرأي في البلد"[٣] هذا الموقف لـ(بيرس) فيه من التشدد والتسلط ومحاولة إخضاع البشر للبشر الكثير، دون أي دليل أو مستند حتى من وجهة نظر بيرس نفسه، حيث يتبادر سؤال بديهي -بالمنطق البراجماتي- هو: كيف لي أن أعتقد بفكرة أو معنى دون أن تثبتها لي التجربة أو يبنى عليها سلوك أقتنع به يفيدني ويرضيني؟.

وفي محاولة أخرى من (بيرس) لتفادي الفردية التي يفرضها مذهبه يفترض أمراً آخر وفكرة هي أقرب إلى الخيال الذي لا يقبله حتى مذهب (بيرس) نفسه فيقول: "لو استطعنا أن ننشئ (مجتمعاً معملياً) أي مجتمع يقوم في التفاهم على نفس المنهج الذي يقوم عليه العلماء في المعمل لانتهينا إلى معنى الحق في غير تنازع أو خلاف"[٤].

أين هذا المجتمع المعملي؟ وكيف يكمن إيجاده؟ وهل تظلُّ المعاني والأفكار والمعارف

---

(١) محمود ، زكي نجيب (١٩٨٢). مرجع سابق، ص ١٣٦.

(٢) المرهج ، علي عبد الهادي . (٢٠٠٨) مرجع سابق ، ص١٣٢.

(٣) المرجع السابق ، ص١٣٢.

(٤) محمود ، زكي نجيب (١٩٨٢). مرجع سابق، ص ١٣٦ .

والحقائق والاعتقادات، معلقة ومُتعذرة الوجود إلى حين إيجاد هذا المعمل الكـــوني الكـــبير المتخيل؟.

ستغيب الحقائق والمعتقدات الثابتة، وستبقى سمة الفردية هي السمة الغالبـــة علـــى الفلسفة البراجماتية التي أسسها (بيرس)، ولازم من لوازمهـــا، تنظُـــرُ إلى معـــاني الأفكـــار والاعتقادات من زاوية ثمرات التجارب النفعية، من وجهة نظر الفرد القائم بها.

ويمكن تعقب البراجماتية في موقفها من المعرفة بالنقاط التالية:

١) - أن البراجماتية لا تقدّم لنا بحثاً إيجابيا عن المعرفة، لأنها مجرد منهج لاكتشاف الأفكـــار الخاطئة. وهي التي ليست لها آثار عملية. وهذا منهج سلبي لا إيجابي، لأنها تسعى إلى استبعاد الأفكار الخاطئة، تلك التي لا تكون لها هذه الآثار العملية . "والاستبعاد منهج سلبي للكشف عن الحقيقة وليس إيجابيا بحال من الأحوال"[١]

٢) – إن ربط الحقيقة بالمنفعة لا يستقيم، فهل الحقيقة حقيقة لأنها مفيدة، أم هي مفيدة لأنها حقيقة؟ و"لا شك في أنّ (الحقيقي) نافع على نحو ما ، إلاّ أنّ ذلك لا يستتبع القول بأن المنفعة هي أساس لتعريف الحقيقة. (فالحقيقي) نافع لأنه(حقيقي) قبل أي اعتبار للمنفعة. وقد ذهب بعض الباحثين إلى القول بأن المذهب البراجماتي يعرف الحقيقة بأنها ما يفي بالحاجة، غير أن أول ما نحتاج إليه عندما نبحث عن الحقيقة هو ألا نكون براجماتيين!

ولنتصور الحالة العقلية لمريض يقول لطبيبه (لا تقل لي سوى ما أحتاج إلى تصديقه)، ألا يكون قوله هذا توسّلا إليه أن يكذب؟ وهكذا ينتهي الأمر بالبراجماتية إلى أن تكون نظرية الأكذوبة الحيوية التي تقوم على أساس من نزعة الشك"[٢] .

٣) – تتعامل البراجماتية مع المعرفة تعاملاً ذاتياً لا موضوعياً، يقوم على اعتبار أنّ منفعة الإنسان ورضاه هو المعيار. وهذه -ولا شك- نزعة فردية بارزة في الفلسفة البراجماتية. وهذه النزعة الفردية هي التي ولّدت أواصر قربى بين البراجماتيين وبين الفيلسوف السوفسطائي (بروتاغوراس)، حين قال: " إن الإنسان مقياس الأشياء جميعاً " . وقد قال (شيلر) - وهو فيلسوف براجماتي انجليزي- : "ينبغي علينا أن نعود مرة أخرى إلى ما فعله

(١)رشوان ، محمد مهران (١٩٨٤) . مرجع سابق ، ص ٨٢

(٢)رشوان ، محمد مهران (١٩٨٤) . مرجع سابق ، ص ٨٣

بروتاغوراس، فنتخذ الأحكام الفردية لأشخاص مفردين نقطة بدء لنا"[١] وهذا ما قامت به البراجماتية حقاً.

وهنا يمكن للباحث أن يقول إن البراجماتية ذات نزعة فردية في المعرفة من حيث ماهيتها ومصدرها، وأن الحقيقة المطلقة غائبة في الفكر البراجماتي تبعاً لمنهجها في التعامل مع المعرفة، بل تَعتَبر البراجماتية أن الحقيقة المطلقة نوع من أنواع الضعف الإنساني الذي يجب أن يتخلص منه، حيث يقول (جيمس) في هذا المقام:"إنه يجب علينا عندما نكون فلاسفة أن نعتبر هذه الحقيقة حالة ضعف في طبيعتنا يجب أن نعالج أنفسنا منها بقدر الإمكان"[٢]. والبراجماتي بهذا "يلعب لعبة خاسرة مع الحقيقة . فهو إذ يجعل من الحقيقة حقنا في الاستمرار في الاعتقاد بما ينفعنا إنما يرفض مفهوم الحقيقة بأسره . إن وضع الفكرة ذات النتائج المرضية مكان مفهوم الحقيقة معناه فتح الباب لأي خيال لذيذ . فماذا يمكن أن يرضي الإنسان أكثر من استمراره في الاعتقاد بأنه ذكي بينما هو أبله ؟ إن العالم ملئ بالكثير من السخف الذي يشعر معه الإنسان قسطاً من المتعة "[٣].

وبناءً عليه فإنّ البراجماتية تغرق في النسبية والفردية التي تصل إلى حد نفي الحقائق إلا حقيقة المنفعة الفردية التي تعتبر هي الحقيقة المطلقة الوحيدة في الفكر البراجماتي.

(١)رشوان ، محمد مهران (١٩٨٤) . مرجع سابق ، ص ٨٦

(٢)عثمان، محمود (١٩٨٤) . الفكر المادي الحديث وموقف الاسلام منه . ط ٢. القاهرة: الدار الاسلامية للطباعة والنشر ص ٣٧٢.

(٣)رشوان ، محمد مهران (١٩٨٤) . مرجع سابق ، ص ٨٤

المبحث الرابع : معالم الفردية في نظرة البراجماتية للقيم :

يصدر موقف الفلسفة البراجماتية من القيم عن موقفها من المعرفة، خصوصاً ما يتعلّق بالحقيقة، فلذا يرتبط هذا المبحث ارتباطاً وثيقاً بالمبحث السابق المتعلق بالمعرفة، ويمكن القول بأن موقف البراجماتية من القيم هو موقفها من الحقيقة إجمالاً.(١) ذلك أن "مقياس الخيرية والشرية في مجال الأخلاق هو نفسه معيار الحق والباطل أو الصواب والخطأ في مجال المعرفة، هو منفعة الانسان وقد اتفق العمليون –يقصد البراجماتيين- مع السوفسطائيين في رد القيم إلى الإنسان"(٢)

ويجدر التقديم قبل الدخول إلى بيان معالم النزعة الفردية في نظرة الفلسفة البراجماتية للقيم بمقدمة مهمّة تربط بين المبحثين .

فقد سبقت الإشارة إلى موقف الفلسفات من قضية الحق، وأنها تعود إلى نظريتين: نظرية المطابقة، أو نظرية الاتساق. وكان وجه الاختلاف، اعتبار الأولى أن الحق هو مطابقة القضية للموضوعات الخارجية، والثانية اعتبار الحقيقة في الاتساق والتماسك مع المسلمات القَبْلية.

أما وجه الاتفاق فهو ردّ القضية الصادقة إلى أصول سابقة تكون أساساً لتحقيق صدقها، سواء كانت مسلَّمات قبلية(نظرية الاتساق)، أو التطابق مع الأصل الخارجي (نظرية المطابقة).

أما البراجماتية فقد كان موقفها نفي أن تكون هناك حقائق، مودعة في الأشياء أو قابعة في الذهن جاثمة سلفاً هناك، وعلينا استخراجها واكتشافها بل هي ما تُسْفِر عنه نتائج أفكارنا في المستقبل، من خلال التجربة المفيدة النافعة. فهي ذات طابع عملي، تؤكد على أهمية العمل الإنساني في تفسير الواقع وتغييره.

وينسحب هذا الموقف على سائر مواقفهم من المشكلات الفلسفية الأخرى، ومنها موقفهم من القيم.

وسيتناول الباحث معالم الفردية في نظرة البراجماتية للقيم، من خلال المحاور التالية:

---

(١) قنصوة ، صلاح (١٩٨٦) . نظرية القيمة في الفكر المعاصر . القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ص١٣٨.

(٢)الطويل، توفيق (١٩٥٣) مذهب المنفعة في فلسفة الأخلاق . ط١ . القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ص ٢٦٣.

أولا ً : مصدر القيم :

القيم والمعرفة البراجماتية ذات مصدر واحد هو الخبرة والنشاط الذاتي والتجربة النافعة المفيدة للفرد، يقول (ديوي) "إنّ من أبرز الأفكار المتَّصلة بنظرة الفلسفة البراجماتية للقيم أنّ مصدرها هو الخبرة والنشاط الذاتي والتجربة. وهذا بالتأكيد يعني أن القيم عند البراجماتيين هي نتيجة اجتهاد الإنسان في تتابع الخبرات، وقدرته على استخلاص نتائج التفاعلات المختلفة من هذه الخبرة"(١).

إنّ رفض الفلسفة البراجماتية لكل القوانين والمبادئ والمعايير التي تفرض على الإنسان من خارج نفسه، أو بعيداً عن تجاربة التي يكتسبها خلال حياته، يسمها بالفردية، يقول (ديوي) في هذا السياق: "والقيم في الفلسفة البراجماتية هي أمور إنسانية تنبع من صميم الحياة التي يعيشها الإنسان على ظهر هذه الأرض وليست أخلاقاً متعالية تفرض على الإنسان من جهات عليا"(٢).

فمن خلال تفاعل الفرد مع الآخرين "يقرر الفرد نوعية القيم التي يجب أن توضع في المرتبة الأولى، وأنّ على الفرد أن يراقب أعماله ويرى مدى مساهمتها في تحقيق القيم التي منحها ثقته واهتمامه، فتصرف الفرد وتحركاته نابعة من شخصة، وليس من مصدر غريب عن نفسه."(٣)

وقد أطلقت البراجماتية للفرد كامل الحرية في إثراء تجربته وفق معيار المنفعة، حيث يؤكّد (جيمس) على أهمية "ترك كل إنسان يؤثر الجانب الذي يرتضيه إلى الجانب الذي يحقق له السعادة في نفسه ويحقق له حياة راضية ويعيش بها بمقتضى ما اقتنع به وترك المستقبل يحكم على مواقفه بالصواب أو الخطأ"(٤)

ويلمس هنا أنّه لا فرق بين قول (جيمس) السابق، وقول السفسطائية: "الإنسان مقياس

---

(١)شبير، محمد خضر عوض(٢٠١٠).دراسة ناقدة للفلسفة البراجماتية.رسالة ماجستير. غزة : الجامعة الاسلامية، ص٥٥

(٢) المرجع السابق، ص ٥٧ .

(٣) صالح ، هاني عبد الرحمن(١٩٦٧) . مرجع سابق، ص ٨٠

(٤)المرهج ، علي عبد الهادي . (٢٠٠٨) مرجع سابق ، ص ٣٤

الأشياء جميعاً، هو مقياس وجود ما يوجد منها، ومقياس لا وجود ما لا يوجد منها"[١]، بل يبدو أن (جيمس) قد جاوز السفسطائية فأطلق للفردية الحرية حتى من نفسها "فالفرد عند (جيمس) حُرّ أيضا من (القانون الفردي)"[٢].

فالحرية في الفلسفة البراجماتية هي حرية الإرادة الفردية التي تحتكم إلى المصلحة الذاتية، ومصدر الحكم على السلوك بالصواب والخطأ خاضع للمعيار الفردي فالخير والصواب في نظر البراجماتية هو أن يسلك الفرد السلوك الذي يتوافق مع رؤيته ومصالحه الذاتية، فليس ثمة واقع موضوعي يذعن له الفرد، مفارق للمصلحة الذاتية الفردية.

ثانيا ً : نسبية القيم:

يمكن القول من خلال النظر إلى مصدر القيم عند البراجماتية بأنّ مصدرها يعود إلى أمر ذاتي لا إلى أمر موضوعي، يمكن أن يعطيها شيئاً من الثبات والإطلاق. فإنّ جعل التجربة والمنفعة مصدراً للقيم يَسِمُها بالنسبية ولا شكّ، ذلك أن مصالح الأفراد تتفاوت، كذلك تجاربهم تكتسب ذات التفاوت بناءً على تفاوت ظروف كل تجربة وأحوالها من شخص لآخر، بل لذات الشخص في ظروف متفاوتة. وبناء على ذلك تصبح القيم شيئاً تقرره الذات لنفسها، وتتباين بتباين الذوات، وتختلف باختلاف الأفراد، فليس ثّمة معياراً مطلقاً تحتكم إليه القيم فتكتسب الثبات أو الإطلاق. فمن الذي يستطيع أن يضبط معيار البراجماتية الذي صرّح به (جيمس) في قوله : "فالحقيقى ليس سوى المطلوب النافع في سبيل تفكيرنا تماما مثلما أن الصحيح ليس سوى المطلوب النافع الموافق فى سبيل سلوكنا"[٣]

فالقيم البراجماتية نسبية لأنّها تُقاس إلى رغبات البشر، فتتغير القيم تبعاً لرغباتهم، واستجابةً للتغيرات في الأحوال التاريخية، أو الديانات الجديدة، ومكتشفات العلم الحديث، وتطور التكنولوجيا، والتقدم في مجالات التربية وما إلى ذلك[٤] .

---

(١)كرم ، يوسف (٢٠٠٩) . مرجع سابق ، ص ٦٣.

(٢)جلال ، شوقي (٢٠١٠) مرجع سابق ، ص١٣١ . : نقلاً عن : William jams, some problems of phil . longmans, Green and co.Newyork, Bombay 1911.p.567

(٣)وليم جيمس (١٩٦٥) . مرجع سابق ، ص ٢٦٢

(٤) نيلر ، جورج (١٩٧١) فلسفة التربية . ترجمة نظمي لوقا . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٣٤ .

والتربية الإسلامية تستهجن نظرة الفلسفة البراجماتية المادية النفعية الذرائعية للقيم ويمكن إجمال النقد الموجه للفلسفة البراجماتية، فيما يلي:

١) – الفلسفة البراجماتية جعلت من الفرد مصدراً للقيم، وهذه الفردية بما يرتبط بها من فوضى وغموض تجعل الأفراد عاجزين عن تحمل النظام والرقابة والمهام الاجتماعية .[١] وهي بذلك تخالف التربية الإسلامية تماماً، حيث أنّ مصدر القيم في التربية الإسلامية مصدرٌ ربّاني، ترتكز عليه متسامية عن المصادر البشرية المادية، وتحتكم إلى شريعة الله تعالى، ممّا يكسبها الثبات والتوافق وعدم التضارب.

٢) – الفلسفة البراجماتية جعلت من المنفعة العاجلة معياراً لقبول القيم أو ردّها، وهي بهذا تنظر إلى المنفعة المادية الدنيوية العاجلة و إلى شهوات الجسد بعيداً عن حاجات الإنسان الأخرى. فجعلت فائدة الفرد الدنيوية المحدودة هي المعيار في قبول القيم أو ردّها، والتربية الإسلامية لم تغفل المنفعة المترتبة على القيم إلّا أن هذه المنفعة ليست معيار القبول والرد، بالاضافة إلى أنّ التربية الإسلامية لم تقصر المنفعة على النفع الدنيوي فقط بل ربطت بين العمل الدنيوي والثواب الأخروي.

ثم إنّ النفع المجرّد لا يصلح أن يكون معياراً لقبول القيم أو ردها، ذاك أن الفرد تام العجز عند إدراك ما ينفعه حالاً ومآلاً. فالخير هو ما يحدده الشرع، ذلك أنّ الله تعالى هو العليم الحكيم.

فقد يبدو للإنسان أنّ في بعض الأمور خير له في ظاهرها، أو في وقتها الحالي، إلّا أنّها قد تكون شراً له إمّا في الحال أو في المآل. ولذا فإنّ ربط القيم بالفائدة والمنفعة يسمها بالقصور الشديد . قال تعالى : (! " # $ % & ') (* + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < =) [٢]. لقد ذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية أنّ "هذا عامّ في الأمور كلها، قد يحب المرء شيئاً، وليس له فيه خيرة ولا مصلحة، ومن ذلك القعود عن القتال، قد يعقبه استيلاء العدو على البلاد والحكم. ثم قال تعالى: (8 9 : ; <) أي هو أعلم بعواقب الأمور منكم،

(١)رشوان ، محمد مهران (١٩٨٤) . مرجع سابق ، ص ٨٥

(٢)سورة البقرة:٢١٦.

وأخبر بما فيه صلاحكم في دنياكم وأخراكم، فاستجيبوا له، وانقادوا لأمره، لعلكم ترشدون"[١].

وقد يجهل الإنسان الفروق المرجحة لما يفيده مما يضرّه، قال تعالى : (´ µ ¶ ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾) [٢]، أما إثمهما فهو في الدين، وأما المنافع فدنيوية. ولو أراد شخص أن يعدّد المنافع -من وجهة نظره- لاستطاع ذلك، ولو قام آخر وأراد أن يعدد أضرار الخمر لعدّ منها الكثير، فما هو الفرق المرجح هنا؟

وعلى هذا، لا يمكن أن يكون الفرد مصدراً للقيم ولا حتى المجتمع، لقصور الإنسان بشكل عام.

٢) – ورغم إعلاء شأن المنفعة في الفلسفة البراجماتية إلّا أنّها غامضة غير واضحة المعالم "فقد أضفوا على كلمة الحاجة معان بلغت من الكثرة حداً لم تعد معه تدلُّ على شيء، حتى ولا كلمه (النافع) ذاتها. فهناك حاجات ترمي إلى حفظ الحياة والعمل على استمرارها، ولكن من الممكن أن نطلق اسم (الحاجة) على ما يعبّر عن أكثر الميول الوجدانية تنوّعاً : فالمرء بحاجة إلى أن يكون محترماً، محبوباً، كما أنّه بحاجة إلى أن يُحِب، والى أن يرى من يحبّهم سعداء. والغيورون الحاقدون بحاجة إلى أن يروا الآخرين تعساء وأقل سعادة منهم. والمرء بحاجة إلى الإيمان بوجود الله، وخلود النفس، وهناك حاجات عاطفية وعقلية كالحاجة إلى المعرفة والفهم ... وهكذا نلاحظ أن (حاجات) الإنسان و (المنافع) التي تناظرها تبلغ من التنوع حدا يجعل كل تعريف للحقيقة بالمنفعة ينتهي آخر الأمر إلى أنه لا يوضح من طبيعتها أي شيء"[٣].

٤)- قول الفلسفة البراجماتية بالنسبية في القيم، هو في حقيقته إنكار للقيم، فما كان اليوم له قيمة، قد يصبح غداً لا قيمة له. وهكذا لا يكون هناك أي ثبات لقيمة من القيم. ومعروف من بديهيات الإسلام فساد هذه الأفكار. فالفضائل ثابتة والأخلاق والقيم لا

---

(١) ابن كثير ، اسماعيل بن عمر (١٩٩٩) . تفسير القران العظيم . مكة : دار طيبة . ج١/ ص٥٧٣.

(٢) سورة البقرة:٢١٩.

(٣)رشوان ، محمد مهران (١٩٨٤) . مرجع سابق ، ص ٨٣.

تتغير. فالصدق فضيلة في كل زمان والكذب رذيلة في كل آن، ذلك أن معيار الأخلاق عند المسلمين الشرع المطهر[١].

وبغير الاعتقاد في ثبات المبادئ "فإننا لسنا أمام فلسفة جديدة وإن بدت كذلك، ولكنّها مجرد إعادة للنظرية الرواقية القديمة، مضافاً إليها الروح النضالية الحديثة، ... تجعل من المجتمع غابة من الوحوش الضارية يأكل بعضها بعضاً إذ تتنافس على (التفوق) و (الغلبة) ولا تتفق إرادتها على تحقيق أي قيمة من القيم الفاضلة : كالحق والعدل والإيثار وغيرها من الفضائل الإنسانية الثابتة فى ذاتها "[٢].

(١)شبير،محمد خضر عوض (٢٠١٠).مرجع سابق، ص ٦٠.

(٢) حلمي ، مصطفى (٢٠٠٥) . الاسلام والمذاهب الفلسفية . بيروت: دار الكتب العلمية، ص ٢٧٧

الفصل الرابع : معالم الفردية في التربية البراجماتية (الجانب التطبيقي).

المبحث الأول: معالم الفردية في نظرة التربية البراجماتية لمفهوم التربية.

- مفهوم التربية البراجماتية.
- مبادئ التربية البراجماتية.

المبحث الثاني: معالم الفردية في نظرة التربية البراجماتية للأهداف التربوية.

- معايير بناء الأهداف التربوية في التربية البراجماتية
- الأهداف عند التربية البراجماتية
  - الهدف الأول : النمو أو التطور الطبيعي
  - الهدف الثاني : الفعالية الاجتماعية

المبحث الثالث : معالم الفردية في نظرة التربية البراجماتية للتلميذ

١- أهمية الخبرة في التربية البراجماتية

٢- مكوّنات الخبرة التربوية:

- الأول : مبدأ التفاعل :
- المبدأ الثاني : مبدأ الاستمرارية

الفصل الرابع : معالم الفردية في التربية البراجماتية (الجانب التطبيقي)

إن العلاقة وثيقة بين الفلسفة والتربية، حيث أنّ الفلسفة تشغل المركز الأول لأي عملية تعليمية، ذلك أنّ الفلسفة تمثل الجانب النظري أو الفكري، والتربية هي الوسيلة التي يتم تنفيذ هذا الفكر من خلاله، "فتنبثق أهداف التربية ومناهجها ومؤسساتها وطرقها ووسائلها في التعليم وفي التقويم، كما تنبثق الجذور والسيقان والأغصان والأوراق والأزهار والثمار من البذرة التي تودع في باطن الأرض ثم يكون منها تلك الشجرة أو ذلك النبات اللذان يكونان المصادر الأولية لأسباب الحياة للإنسان والحيوان وغيرهما من الكائنات الحية.

لذلك تتأثر الأهداف والمناهج والتطبيقات التربوية بفلسفة التربية التي تنبثق عنها، وتكون نسبة الصواب والفاعلية فيها بالقدر الذي يكون في فلسفة التربية نفسها. وتكون فلسفة التربية صائبة فاعلة إذا كانت لا تقف عند توليد الوسائل والأساليب التي يحتاجها العمل التربوي وإنما تتضمن أيضاً الغايات والأهداف النهائية"[١] التي وجد الإنسان من أجلها.

ونظراً لهذه العلاقة الوثيقة بين الفلسفة والتربية فإن الباحث يرى أهمية هذا الفصل في هذا الموضع للوقوف على معالم الفردية في التطبيقات التربوية للفلسفة البراجماتية. كما يعلم الباحث أنه لا يمكن أن تخرج هذه التطبيقات عن الإطار الفلسفي السابق فلذا سيركز الباحث خلال هذا الفصل على الجوانب التربوية من خلال استعراض الفردية في موقف التربية البراجماتية من عناصر العملية التعليمة التالية:

المبحث الأول : معالم الفردية في نظرة التربية البراجماتية لمفهوم التربية.

المبحث الثاني : معالم الفردية في نظرة التربية البراجماتية للأهداف التربوية.

المبحث الثالث : معالم الفردية في نظرة التربية البراجماتية للتلميذ.

---

(١) ماجد عرسان الكيلاني (٢٠٠٩) مرجع سابق، ص ٣١ .

المبحث الأول: معالم الفردية في نظرة التربية البراجماتية لمفهوم التربية :

مفهوم التربية البراجماتية:

كانت النظرة إلى التربية قبل البراجماتية، أنها إعداد الإنسان للحياة، فقد عرفها (بستالوزي) بأنها "إعداد بني الإنسان للقيام بواجباته المختلفة في الحياة"(١)، وهذا المفهوم يفصل بين طبيعة الحياة وطبيعة التربية، وينظر إلى التربية أنها وسيلة من وسائل ترقية الإنسان وتنمية قدراته وإعداده للحياة. إلا أن التربية البراجماتية جاءت بنظرة جديدة للتربية خالفت فيها السائد قبلها حول مفهوم التربية، فعرفها (ديوي) بأنها "طريقة الحياة وليست إعداد للحياة المستقبلية"(٢) فاعتبرت التربية والحياة شيئاً واحداً ولم تفصل بينها وهذه من المآخذ التي أخذت على البراجماتية.(٣) ذلك أن التربية وسيلة وليست غاية في ذاتها.

ومثلما جاءت البراجماتية بفكرة جديدة في مفهوم التربية فكذلك فعلت في منهج التعامل مع المتربي فرأت البراجماتية أن التربية يجب أن تنبع من الحاجات الفطرية للأفراد، حيث يقول ديوي: "ليست التربية شيئاً يقحم على الأطفال والشباب قسراً من الخارج وإنما هي نمو القدرات الفطرية الكمية في الكائنات الإنسانية عند الميلاد"(٤)

وعرّفها أيضاً بقوله : "هي عملية مستمرة من إعادة بناء الخبرة بقصد توسيع وتعميق محتواها الاجتماعي ، في حين أنه في نفس الوقت يكتسب الفرد ضبطاً وتحكماً في الطرائق المتضمنة في العملية"(٥). أما وظيفة التربية البراجماتية، فهي لا تكاد تخرج عن الجانب البيولوجي المادي للإنسان، يقول (ديوي) موضحاً دور التربية ووظيفتها بأنها تتمثل في "مساعدة الحيوان الصغير النامي العاجز لكي يصبح انساناً سعيداً ذا أخلاق قادراً فعالاً كفؤاً"(٦)

---

(١) ناصر، ابراهيم (١٩٧٩) . مقدمة في التربية . عمان: جمعية عمال الطابع التعاونية، ص١٢.

(٢) رالف . ن . وين .(١٩٦٤) . مرجع سابق، ص ٥٦.

(٣) الشيباني، عمر محمد التومي(١٩٧١) . تطور النظريات والأفكار التربوية . بيروت : دار الثقافة ، ص٣٦٨

(٤)رالف . ن . وين .(١٩٦٤) . مرجع سابق، ص١٢

(٥)المرجع السابق، ص٥٧.

(٦)المرجع السابق، ص٥٧.

مبادئ التربية البراجماتية :

استطاع (ديوي) أن يلخص مبادئ التربية البراجماتية في كتابه (الخبرة والتربية)[١] ويناقش الآراء التي تعارض مبادئها وسيعرضها الباحث في النقاط التالية :

١. التربية البراجماتية اهتمت بالتعبير عن الذاتية وتنمية الفردية.
٢. استبدلت النظام المفروض من خارج الأفراد واهتمت بالنشاط الحر للفرد.
٣.التعليم عن طريق الخبرة الفردية بدلاً عن الكتب والمدرسين.
٤.التدريب على المهارات الفنية يعد وسيلة لتحقيق أهداف يقبل عليها المتعلم إقبالاً حيوياً مباشراً .
٥.التركيز على الإعداد لاستغلال فرص الحياة الراهنة أعظم استغلال ممكن، بدلاً من الإعداد للمستقبل.
٦.استبدال الأهداف والمواد الجامدة –في نظرها- بالتعرف على عالم متطور.

وهنا يمكن تعقب التربية البراجماتية فيما يتعلق بمفهوم التربية ومبادئها بما يلي:

يتضح من التعريفات السابقة للتربية عند البراجماتية بروز المنهج البراجماتي، والذي يهتم بكل ما هو نفعي، كما يؤخذ على البراجماتية في تعريفها للتربية أنها لم تفرق بين التربية والحياة،كما يؤخذ عليها أيضاً تعدد تعاريفها للتربية، مما يجعل منها ضبابية، (فبعد أن عرفتها على أنها الحياة نفسها عادت فعرفتها أنها وظيفة اجتماعية ، أو أنها توجيهية، أو عملية نمو، أو عملية تكييف ما بين الفرد وبيئته).[٢]

ثم إنه يمكن رؤية معالم الفردية في مفهوم التربية البراجماتية بوضوح تام من خلال المبادئ التي وضعها (ديوي) لترسم خط سير التربية البراجماتية واعتمادها على الفردية في تربيتها.فالتربية البراجماتية تربية فردية في مبادئها التي عبر عنها (ديوي) في أو مبدأ بقوله :

---

(١) ديوي، جون (د.ت) . الخبرة والتربية . ت: محمد رفعت رمضان وآخرون . القاهرة : مكتبة الأنجلو، ص ١٣
(٢) الغامدي ، عبد الرحمن عبد الخالق (١٩٩٦) . دراسة ناقدة لبعض مبادئ جون ديوي الفلسفية والتربوية من منظور إسلامي . الرياض: جامعة الملك سعود، ص ٤٤

"نجد أن التربية الحديثة قد اهتمت بالتعبير عن الذات وتنمية الفردية"[١]

إنَّ إصرار التربية البراجماتية على أن تكون التربية صادرة من داخلها يصبغها بصبغة الفردية، فالتربية البراجماتية ليست "شيئاً يقحم على الأطفال والشباب قسراً من الخارج وإنما هي نمو القدرات الفطرية الكمية في الكائنات الإنسانية عند الميلاد"[٢] كما تقوم على تربية الغرائز الفردية في المتربي ، واستغلال حياته التي يحياها أعظم استغلال، دون الخضوع لأي ضابط من خارج نفسه يمكن أن يفرض عليه بالتربية.

ثمَّ إنَّ التربية البراجماتية تركز على الخبرة الذاتية لأفرادها وتعلي من شأنها فتركز على النشاط الحر للفرد، وهنا أيضاً يغيب أي معايير يحكم من خلالها الفرد على مابين يديه من تجارب وخبرات اكتسبها عن طريق تلبية رغباته وغرائزه. ولا يكاد يخطئ (ديوي) في وصف تعامل البراجماتية مع الانسان وفق مبادئها على أنه حيوان صغير يستحق المساعدة لترتقي قدراته (المادية طبعاً) حيث قال في إحدى تعريفاته أن التربية ما هي إلا "مساعدة الحيوان الصغير "

وهنا يمكن للباحث أن يقول إن البراجماتية فردية النزعة في نظرتها لمفهوم التربية، وقد أقامت مبادئ تربيتها على أساس هذه الفردية مما كان له أثره على بقية أطراف التربية (التلميذ، الأهداف) وهذا ما سيتناوله الباحث فيما يلي.

(١) ديوي ، جون (د.ت). الخبرة التربية. مرجع سابق، ص ١٣

(٢)رالف . ن . وين .(١٩٦٤) . مرجع سابق، ص١٢

المبحث الثاني: معالم الفردية في نظرة التربية البراجماتية للأهداف التربوية.

إنّ التربية عملية هادفة مقصودة لا بد أن تحدّد أهدافها، وإلّا سارت بغير وعي ولا إرشاد. ويمكن تقسيم الأهداف التربوية إلى قسمين رئيسين : "(الأهداف الأغراض) أي التي تشتمل على الأغراض والمقاصد النهائية التي يراد من التربية إنجازها وتحقيقها على المستويات الفردية والاجتماعية والعالمية. و(الأهداف الوسائل)أي التي تشتمل على الوسائل والأدوات الفعالة لتحقيق (الأهداف الأغراض)"[١]

والتربية البراجماتية لا تؤمن بالأهداف الغائية النهائية وتعتبرها عائقاً من عوائق التربية، ويتعارض مع الطبيعة الديناميكية غير النهائية للعمل الإنساني —من وجهة نظرها- كما أنه لا يوجد هدف تربوي يستطيع أن يدرك عمليات النمو الإنساني دون أن يخضع لغرض أبعد من ذاته، ولذلك تعتقد التربية البراجماتية أن الحديث عن أهداف نهائية يعوق التقدّم ويعطّل الكشف.[٢] وتزعم بأن التربية لو قبلت بوجود أهداف مطلقة دائمة مستمرة فإنها ستجمد "على وضع معين، ويقف الذكاء الإنساني عند مستوى لا يتعداه ".[٣]

إذاً كيف تُبنى الأهداف في التربية البراجماتية؟

يمكن الإجابة عن ذلك، من خلال استعراض معايير الأهداف في التربية البراجماتية، حيث يتّضح مدى تكيزها على الجانب الفردي في بنائها .

معايير بناء الأهداف التربوية في التربية البراجماتية:

- **المعيار الأول :**

إنّ الأهداف ليست نهائية، فإذا كان النمو ليس له هدف من ورائه إلا النمو ذاته فإن التربية تصبح عملية مستمرة لا تستقرّ عند غاية معيّنة تحقّقها، وإنما تجعل من الهدف عند

---

(١) الكيلاني، ماجد عرسان.(١٩٩٨) .مرجع سابق، ص١١.

(٢) عفيفي،محمد الهادي (د.ت)، في أصول التربية(الأصول الفلسفية للتربية) . القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ص٨٣-٨٤ .

(٣) النجيحي،محمد لبيب (د . ت) . مقدّمة في فلسفة التربية . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ص ١٤١.

تحقيقه وسيلة لما بعده من أهداف، وبذا تستخدم هذه الأهداف استخداماً تجريبياً . ويدل على ذلك قول ديوي: "ينبغي للمربين أن يحذروا من الأهداف التي يزعم أنها عامة أو نهائية"(١).

- **المعيار الثاني :**

إنْ هذه الأهداف يجب أن تبنى على حاجات التلميذ وفعالياته الذاتية بما في ذلك دوافعه الفطرية وعاداته المكتسبة.

- **المعيار الثالث :**

ألّا تفرض الأهداف فرضاً من سلطة عليا وألا تستمد الأهداف من بيئة خارج الموقف التعليمي.

- **المعيار الرابع :**

أنْ تنبع هذه الأهداف التربوية من الخبرة، وتعمل كوسيلة للسيطرة عليها وتوجيهها. فكل فرد يجب أن تكون له أهدافه الواقعية التي تنبع من المواقف التعليمية، التي يواجهها ويتصارع معها.(٢)

وبناءً عليه يتبين أن الهدف في التربية البراجماتية هدف ذاتي فردي، لأنه بُني على معايير ذاتية، حيث ينبع من حاجات التلميذ وفعالياته الذاتية، ودوافعه الفطرية وعاداته المكتسبة، من خلال خبرته الذاتية، ولا يمكن فرض هدف على التربية من خارج الخبرة الذاتية التي تنبع من المواقف التعليمية التي يواجهها التلميذ ويتصارع معها.

أما هذا الصراع الذي يبني الفرد هدفه استناداً إليه، فيقول (ديوي) شارحاً خطواته بأنه "تدبر العواقب من حيث نتائجها المحتملة المترتبة على تصرف ما في موقف معين بطرق مختلفة والافادة مما هو متوقع لتوجيه الملاحظة والتجربة"(٣) .

ويرى الباحث، أن البراجماتية تقول بتغيرّ الأهداف بل بعدم وجود حقيقة أو قيمة أو

---

(١)محمد لبيب النجيحي،(د . ت) مقدّمة في فلسفة التربية . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ص١٤٥

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٦ - ١٤٩

(٣) رالف . ن . وين .(١٩٦٤) مرجع سابق، ص٤١

معرفة مطلقة أو ثابتة وهي بهذا تخالف التربية الإسلامية تماماً، حيث ترى التربية الإسلامية ثبات الأهداف التي تحقق هدفها الغائي المتمثل في عبادة الله تعالى وحده، قال تعالى: (C I H G F E D)[١]. والتربية الإسلامية -في الوقت ذاته- لا تمانع من وجود أهداف فرعية أو مرحلية أو جزئية خاصة أو عامة، وذلك في إطار المفهوم الشامل للعبادة.

فهناك أهداف وسائل يُتَوصل بها إلى ما بعدها إلى أن تصل إلى الهدف الغائي كأداء بعض الشعائر مثلاً –مع أنها توصل إلى الغاية منها وهي عبادة الله تعالى- يحقق أهدافاً هي وسيلة لما بعدها. فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى : (ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ μ ¶ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾)[٢]، والصوم هدفه تحقيق التقوى في نفوس الصائمين، قال تعالى : (3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A)[٣]. ويمكن لمن أراد أن يتتبع النصوص الواردة في هذا الموضوع أن يخرج بعدد كبير من الأدلة تثبت وجود الأهداف الفرعية المرحلية في مجال التربية الإسلامية.

أما التربية البراجماتية فلا تعترف إلّا بالأهداف المرحلية أو الأهداف الوسائل. فلا يوجد هناك أهداف غائية ثابتة، ممّا جعل كثيراً من النقاد يتهمها بأنها تربية بلا أهداف، حيث أعطت اهتماماً أكثر ممّا يجب لقضايا التكيّف وتشجيع الناشئة على الجري وراء رغباتهم، ووراء أنواع النشاطات المختلفة، بينما أهملت الموضوعات الأكاديمية والعقلية والدراسات الجادة. ولقد وصفها بعض النقاد بأنها (سيرك لعب) أكثر من كونها معهداً أكاديمياً.[٤]

---

(١) سورة الذاريات:٥٦.

(٢) سورة العنكبوت:٤٥.

(٣) سورة البقرة:١٨٣.

(٤) ماجد عرسان الكيلاني(٢٠٠٩) . مرجع سابق ، ص ٦٤

الأهداف عند التربية البراجماتية:

يمكن حصر الأهداف الحقيقية للتربية البراجماتية في هدفين هما (النمو أو التطور الطبيعي). (الفعالية الاجتماعية).

الهدف الأول : النمو أو التطور الطبيعي:

عند النظر إلى مكانة هذا الهدف في التربية البراجماتية ، يتبادر إلى الذهن عدد من التساؤلات، فإذا كانت التربية عملية نموّ، فإلى أين يتّجه هذا النمو؟ هل لـــه هدف محدد يتجه إليه؟

إنّ الإجابة البراجماتية: هي أنّ التربية هي عملية النمو، والنمو ليس لـــه هدف أبعد منه إلاّ النمو ذاته. ومعنى هذا أن التربية تبذل كل الوسائل المتاحة لتحقيق النمو لدى الطفل حتى يصل هذا النمو إلى أقصى حدّ لـــه، وبذلك لا يهدف النمو إلى شئ آخر غير النمو نفسه(١).

وناهيك عن أن هذه الفكرة هي إغراق في المادية واهتمام بالجانب المادي فقط، الذي يتحوّل به النمو البيولوجي -الغرائز والحاجات والقدرة على التكيف واكتساب الخبرة- إلى هدف غائي في ذاته؛ وإن زعمت البراجماتية أنّ هناك نمواً إيجابياً مرغوباً فيه هو المقصود فقط، فسيلزمها أن تبين ما معيار هذا النمو الإيجابي؟ ومن الذي يضعه؟ وعلى أي أساس نقبل نمواً ونرد الآخر؟ و هل هناك معيار آخر غير (الفرد) و خبرته عند البراجماتية ؟ إن الإجابة أنه لا يوجد عند البراجماتية أيّ معيار غير المعيار الفردي الذي يجعلها تربية فردية باقتدار.

وهنا يرى الباحث أنّ رفض التربية الإسلامية لهدف النموّ البراجماتي؛ ليس رفضاً لهدف النموّ بوصفه هدفاً عاماً، أو خاصّاً، فإنّ من أهداف التربية الإسلامية الاهتمام بالنموّ الجسمي والعقلي للفرد، إنّما الرفض عندما يكون هدفاً غائياً مطلقاً ونهائياً لا هدف للتربية بعده فتكون التربية بالنمو ومن أجل النموّ (البيولوجي، المادي) للقدرات، حيث توجهه الغرائز والاحتياجات النابعة من الفرد فقط.

---

(١)النجيحي، محمد لبيب(١٩٨١) . الأسس الاجتماعية للتربية . ط ٨ . بيروت: دار النهضة العربية، ص١٣

الهدف الثاني : الفعالية الاجتماعية:

كثيراً ما يركز (ديوي) على العلاقة بالمجتمع حتى يظن القارئ أن فلسفته فلسفة اجتماعية، إلّا أنّ الأمر خلاف ذلك تماماً. ويعود هذا لأسباب، من أبرزها:

أنّ الممارسات التربوية في البراجماتية كلها فردية. فمصدر الخبرة والمعرفة والقيم؛ بل والأهداف التربوية ذاتها لا يقبل (ديوي) أن تكون من خارج الفرد واحتياجاته ورغباته – كما سبق بيانه- ممّا يكسبها النزعة الفردية، ثمّ تحاول دمج الفرد بهذه المفاهيم في المجتمع. ولا شك أنّ هذا يعتبر تناقضاً جلياً في فكر التربية البراجماتية "ففي الوقت الذي ينادي بوضع أهداف تربوية متمركزة حول إعداد الفرد، وجعل التلميذ سيد نفسه يضع أهدافاً متمركزة حول المصالح الاقتصادية، ويطالب بتربية الطالب على الخضوع والانقياد لمتطلبات العمل في المؤسسات الصناعية. فهو في الوقت الذي يدعو فيه إلى توسيع المعلومات لإعداد الفرد، يطالب بإعطاء الطالب معلومات محدّدة تُعِده للوظيفة المناسبة، وفي الوقت الذي يدعو فيه إلى تربية الطالب على التأمل والتفكير، يربيه على الخضوع والإذعان للسلطة ولأصحاب العمل"(١).

يقول (حديدي) : "إن اعتبار البيئة الاجتماعية أكبر مظهر من مظاهر التربية يجعلنا نتساءل عن تصور (ديوي) للعلاقة التي توجد بينهما، وكيف نظر إلى الروابط التي تحكم علاقة التربية بالبيئة الاجتماعية؟ وهو تساؤل قد يثير تناقضاً بين نزعة (ديوي) الطبيعية كفلسفة قد تتعارض مع النزعة الاجتماعية"(٢).

وفي الحقيقة فإن (ديوي) يعتقد "أن الإنسان عضو في جماعة وجزء لا يتجزّأ من المجتمع إلّا أنّه لا يلتزم بهذا المبدأ؛ لأن الفلسفة التي يدين بها (ديوي) تمجّد الفردية الرأسمالية وهي تنظر إلى أن الفرد حجر الزاوية في المجتمع، ومن ثم فلابد من اطلاق قدراته وطاقاته، وهنا يتعذّر على (ديوي) التوفيق بين الفرد والجماعة"(٣).

من الأسباب أيضاً الفصل في تربية كل من الفردية والجماعية عن بعضهما في نفس

---

(١) مكي، ابو زيد (١٤٣٠). ظاهرة الصراع في الفكر الغربي بين الفردية والجماعية. مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الاسلامية ، (٤٨) ، ص ٦٦٦.

(٢)جديدي، محمد(٢٠٠٤) . فلسفة الخبرة . بيروت : مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ص ٢٤٥.

(٣)الغامدي ، عبد الرحمن عبد الخالق (١٩٩٦) . مرجع سابق ص٢٠

المتربي، حيث تفترض البراجماتية أن هناك مرحلة هي البناء الفردي المستقل، ثم صب هذا الفرد -الذي بُني بناءاً مستقلاً- في قالب اجتماعي غريب عن تكوينه التربوي. يقول (ديوي) في هذا السياق: "فلا بد لنا أن نقول إنها عملية صوغ وتكوين لفعالية الأفراد ثم صب لها في قوالب معينة، أي تحويلها إلى عمل اجتماعي مقبول لدى الجماعة"(١).

ويرى الباحث أن هذا من المحال تطبيقه، إذ كيف تطلق البراجماتية العنان للفردية والاستقلالية في نفوس أفرادها، وعدم قبول أي أمرٍ لا يدخل تحت نطاق خبرتهم الذاتية أو يحقق لهم مصلحة ذاتية، ثم تطالبهم بالخضوع للمجتمع إلا أن كانت علاقات مصلحية، خاضعة للمصلحة، فيتشكل مجتمع نفعي من مجموعة أفراد لو بُحث عن الرابط بينهم فلن يتجاوز المصلحة، خصوصاً في ظلِّ غياب معايير محايدة غير ذاتية، ووجود المعايير البراجماتية المبنية على الخبرة والمنفعة الذاتية. فلا يعدو كلام ديوي أن يكون كلاماً فلسفياً قُصد منه استشعار ما تقع فيه البراجماتية من خطورة المبالغة في النزعة الفردية، والسعي إلى إيجاد حل لذلك ولو عن طريق مقاربة فلسفية نظرية تستعصي على التطبيق.

وفي ختام هذا المبحث يرى الباحث أنّ الأهداف التربوية البراجماتية أهداف غير ثابتة، يجب أن تنبع من احتياجات الأفراد ونشاطاتهم وتتمحور حول اهتماماتهم مما يلزم منه القول بأن التربية البراجماتية تربية فردية في نظرتها للأهداف التربوية.

(١) ديوي، جون(١٩٧٨) . الديمقراطية والتربية . ت: نظمي لوقا . القاهرة : مكتبة الأنجلو، ص ١١

المبحث الثالث : معالم الفردية في نظرة التربية البراجماتية للتلميذ

تجعل التربية البراجماتية من التلميذ محور العملية التعليمية، وتركز تركيزاً شديداً على أهمية أن تنطلق التربية وأهدافها والمنهاج، من خبرات التلميذ التي تشكّلت من خلال تلبية احتياجاته ورغباته. ويؤكد (ديوي) ذلك بقوله: "في وقتنا الحاضر نرى التغيير المقبل في تربيتنا هو تحول مركز الجاذبية ، فهو تحول أو ثورة ليست غريبة عن تلك التي أحدثها (كوبرنكس) عندما تحول المركز الفلكي من الأرض إلى الشمس. ففي هذه الحالة يصبح الطفل الشمس التي تدور حولها تطبيقات التربية، وهو المركز الذي ننظمها حوله"[١] .

تؤكّد التربية البراجماتية على أنّ التلميذ يعتمد في تلقّي معارفه على الخبرة. وهي الخبرة التي ركّز عليها (ديوي) كثيراً في فلسفته، بجانب تأكيد (بيرس) و(جيمس) عليها أيضاً، إلّا أنّ (ديوي) من أكثرهم تركيزاً عليها في الميدان التربوي.

وفي المقابل فإنّ فكرة الخبرة في التربية البراجماتية لا يمكن فصلها عن الجانب النظري الذي سبق مناقشته في الفصل السابق، فتقاس الخبرات وفق ذات المعايير فلا تُقبل في التربية البراجماتية كل خبرة بل يجب أن تكون خبرة عملية ناتجة عن تجربة ذات مردود نفعي.

ولأهمية الخبرة في واقع التلميذ فسيكتفي الباحث بمناقشتها لسببين ، الأول : أن ما يتعلق بنظرة الفلسفة البراجماتية إلى التلميذ (بيولوجياً)، وكيف يتلقى القيم والمعرفة قد سبق مناقشته في الجانب النظري من هذا البحث. ثانياً : لأن مبدأ الخبرة أُبرز بشكل واضح على يد مربّي البراجماتية (ديوي) وعليه ستكون معالم الفردية فيه أكثر وضوحاً.

---

(١)ديوي، جون(١٩٦٤) . مرجع سابق، ص ٥٤

١- أهمية الخبرة في التربية البراجماتية :

يعبّر (ديوي) عن أهمية الخبرة في التربية فيقول : "إن التربية هي ذلك التكوين أو التنظيم الجيد للخبرة الذي يزيد في معناها ، وفي المقدرة على توجيه مجرى الخبرة التالية"(١)

- يجب أن تبنى التربية على الخبرة.
- التربية هي تشكيل جديد وتكوين متجدّد للخبرة .
- بهذا التجديد تزداد قدرة التربية على توجيه الخبرات التالية.(٢)

بل يعتبر (ديوي) الخبرة هي الحياة نفسها، فيقول "كنا نستعمل كلمة الحياة للدلالة على الخبرة بكامل اتّساعها فردية ونوعية"(٣)، ويمكن تحديد معالم الخبرة التي يقصدها (ديوي) فيما يلي :

- أنها خبرة تُبنى على ذات المعايير البراجماتية في المعرفة والقيم، من حيث المنفعة والتجربة.
- خبرة مرتبطة بالجانب المادي في حياة الإنسان، فتستبعد كلّ مالا يدخل في اطار المحسوس، الذي يمكن اختباره والتأكد منه.
- هي خبرة ذاتية وليست موضوعية بناءً على اعتمادها معايير ذاتية .

مكو ـ نات الخبرة التربوية:

تحتوي الخبرة التربوية على مبدأين ضروريين في نظر ديوي حيث يقول : "قد حاولت أن أبرز حاجتنا إلى مثل هذه النظرية إلى مبدأين أساسيين في تكوين الخبرة أولاهما مبدأ التفاعل ومبدأ الاستمرارا"(٤) فما هما هذان المبدآن؟

---

(١)ديوي، جون(١٩٧٨) . مرجع سابق، ص٧٩ .

(٢) جديدي، محمد(٢٠٠٤) . مرجع سابق ص ٢٣٦

(٣)ديوي، جون(١٩٧٨) . مرجع سابق، ص ٢

(٤) ديوي ، جون (د.ت). الخبرة التربية. مرجع سابق، ص ٤٥

الأول : مبدأ التفاعل :

ويشير إلى ما يحدث بين الفرد والبيئة المحيطة به من علاقة تأثر وتأثير ، يقول (ديوي): "تقرر أهمية متساوية لكلا العاملين اللذين يكوِّنان الخبرة ألا وهما الظروف الخارجية والداخلية وكل خبرة عادية هي ثمرة التفاعل بين هاتين المجموعتين من الظروف"(١)

ويتّضح من كلام (ديوي) السابق أنّ ما يسمّيه (ديوي) خبرة هو تفاعل بين ظروف خارجية، هي (الجانب المادي) والاجتماعي المحيط بالفرد، وأخرى داخلية هي حاجات الفرد ونوازعه ورغباته وهو (الجانب الذاتي) في الخبرة، ومن تفاعل كلا الجانبين المادي والذاتي تتكون الخبرة. وكلا الجانبين يُعد من المعايير الذاتية التي تحتكم إليها خبرة الأفراد في التربية البراجماتية، وعند الجمع بين قول (ديوي): "وإذا أردنا أن ندرك كيف تتم العملية التعليمية التربوية بنجاح كامل وجب علينا أن نتجه إلى خبرات الأطفال"(٢) وقوله السابق : "في وقتنا الحاضر نرى التغيير المقبل في تربيتنا هو تحول مركز الجاذبية ، فهو تحول أو ثورة ليست غريبة عن تلك التي أحدثها (كوبرنكس) عندما تحول المركز الفلكي من الأرض إلى الشمس، ففي هذه الحالة يصبح الطفل الشمس التي تدور حولها تطبيقات التربية وهو المركز الذي ننظمها حوله"(٣)

ويتّضح أنّ مقصود التربية البراجماتية الاتجاه إلى خبرات الأطفال مباشرة، وجعلها هي مركز اهتمامها. ولا يخفى ما فيه من إعلاء مبالغ فيه للفرد بأن يُجعل هو المحور الأول للتربية، وأن تُقصر كل العملية التعليمية على حدود خبرات الأطفال الضيقة .

المبدأ الثاني : مبدأ الاستمرارية

يقوم هذا المبدأ على فكرة أنّ كل تجربة وتفاعل وخبرة يكتسبها الفرد لا تبدأ وتنتهي مستقلة بذاتها؛ بل هي كالحياة متصلة ومستمرة النموّ، أو كما يقول ديوي: " أنّ كل خبرة يجب أن يكون لها شأن إلى حد ما في إعداد الشخص لخبرات تالية من نوع أعمق، وأوسع

(١) جون ديوي ، مدارس المستقبل(د.ت) مرجع سابق . ص ٥٦

(٢) المرجع السابق، ص ٥٦

(٣) ديوي، جون (١٩٦٤) . مرجع سابق، ص ٥٤

أفقاً. وهذا هو عين المعنى المقصود من نمو الخبرة واستمرارها وإعادة بنائها"[١]. فالخبرة حسب هذا المبدأ عبارة عن سلسلة خبرات تؤدي كل خبرة إلى الأخرى[٢]

إنّ البراجماتية بزعامة (ديوي) هي التي روجت للتعليم عن طريق الخبرة "وليست البراجماتية وليدة حركة التجريب- وإن كانت قد استندت إليها فهي تعود كما يقول الفيلسوف البريطاني براتراندرسل – إلى الفلسفة السفسطائية ... فالدعوة إلى الاعتماد على التجريب ليست من العلم في شيء، وإنما هي اتجاه فلسفي يهدف إلى إخضاع الإنسان ومشاعره لسلطان الطريقة العلمية"[٣] فالبراجماتية سارت على طريقة السفسطائيين فهم يرون أن الخبرة هي التي تثبت صحة أو عدم صحة ما يواجهه المرء. وبناءاً عليه فالمشاعر الفردية يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار عند بناء أية نظرية تربوية.

إن التسليم بطريقة الخبرة يعني رفض كل معرفة وحقيقة تقع خارج خبرة التلميذ وهذا بالاضافة إلى كونها فردية متطرفة فهو بتر للعديد من الحقائق الغيبية والتاريخية والإنسانية بشكل عام . ومعيار الخبرة ذاتي لا موضوعي، وأقل ما يمكن اشتراطه منطقياً؛ أن تـُحاكم هذه الخبرة التي يكتسبها التلميذ إلى معيار محايد خارج ذاتها التي قامت بالتجربة وفق رغباتها واحتياجاتها، والبراجماتية ترفض هذا مما له أثره البالغ في إكساب التلاميذ كثير من الخبرات النسبية التي لا ترقى أن تكون حقائق.

ثم إن الاعتماد على الخبرة الذاتية وجعلها هي المحور الذي يجب مراعاته في التربية يجعلها تربية بدون هدف حقيقي إلا الخبرة ذاتها. وهذا ما يؤكده (ديوي) الذي يصف التربية بأنها بالخبرة وإلى الخبرة ، فأصبحت الخبرة وسيلة وهدفاً في آن واحد[٤] .

وبناءً على ما سبق بيانه فإن التربية البراجماتية فردية النزعة في نظرتها للتلميذ.

---

(١)ديوي ، جون (د.ت). الخبرة التربية. مرجع سابق، ص٤١

(٢) العراقي، سهام (١٩٨٤) . تاريخ تطور اتجاهات الفكر التربوي . الأسكندرية : المكتبة الحديثة ، ص٩٥.

(٣) عبدالله ،عبد الرحمن صالح (١٩٨٦) . المنهاج الدراسي اسسه وصلته بالنظرية التربوية الاسلامية . الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية ، ص٢١.

(٤)المرجع السابق، ص٢٢.

الفصل الخامس: موقف التربية الاسلامية من الفلسفة البراجماتية ونزعتها الفردية.

المبحث الأول : موقف التربية الإسلامية من الفردية.

المبحث الثاني : موقف التربية الإسلامية من الفردية و الجماعية.

المبحث الثالث:موقف التربية الإسلامية من الفردية في الفلسفة البراجماتية.

- أولاً : موقف التربية الإسلامية من الفردية في (الجانب النظري).
- ثانياً : موقف التربية الاسلامية من الفردية في (الجانب العملي) للفلسفة البراجماتية

الفصل الخامس : موقف التربية الاسلامية من الفلسفة البراجماتية ونزعتها الفردية

المبحث الأول : موقف التربية الإسلامية من الفردية.

من خصائص الطبيعة الإنسانية أن الله خلق فيها صفات متقابلة، لا يمكن بحال من الأحوال أن يُنظر إلى الإنسان من خلال جزء واحد من أجزاء هذه الصفات، ثم يحكم بأنه لا يمثل إلا هذا الجزء المنفرد، فصفتا (الحسية) و (المعنوية) مثلاً صفتان متقابلتان في الطبيعة الإنسانية، ذلك أن الإنسان له طاقتان: طاقته الحسية المتصلة بالحواس والأعصاب والبيولوجيات، وجميعها تتعلق بالجانب الحسي من حياة الإنسان، والطاقة الثانية: هي طاقته المعنوية المتعلقة بالتفكير التصوري الذي يدرك من خلاله الكليات والجزئيات ويدرك الجمال والحق وغيره.[١] فهاتان الصفتان لا يمكن إنكار وجودهما في الطبيعة الإنسانية بحال من الأحوال؛ إلا أنه في ذات الوقت لا يمكن أن يوصف الإنسان بصفة منفردة منهما ويُقال إن الإنسان حسي فقط، ويُقال بأنه معنوي فقط أو حتى تغليب جانب على الجانب الآخر، وما يقال عن هاتين الصفتين يقال عن باقي صفات الإنسان المتقابلة الأخرى التي أوجدها الخالق فيه وجعلها صفات ثابتة لا تنفك عنه؛ كالحب والكره، والخير والشر، والخوف والرجاء.

والفردية والجماعية من تلك الصفات المتقابلة في النفس البشرية التي دار حولها النقاش والخلاف في تغليب جانب من جوانبها على الجانب الآخر.

تعامل التربية الإسلامية مع صفة الفردية في تكوين الإنسان:

لم تنكر التربية الإسلامية فردية الإنسان ومكانته، بل أعلت من قدره وحفظت مكانته التي حفظها الله له بتشريعه الموافق لخلقه (, - . / 0 1 2 3)[٢] ، وهذا التوافق بين خلق الله للانسان وأمره له بتشريعه، جعل التربية الإسلامية تربية متوازنة تحفظ قيمة الفرد إلا أنها لا تُعلي من قيمتة وحريته مقابل المجتمع، ولم تجعل منه ومن فاعليته؛

(١) قطب ، محمد (١٩٩٣) منهج التربية الاسلامية . ط١٤ . .القاهرة: دار الشروق ص ١٥١.
(٢) سورة المُلك:١٤.

معياراً تُحاكم إليه المعارف والقيم.

ويمكن إجمال تعامل التربية الإسلامية مع صفة الفردية فيما يلي :

أولا ً : تأكيد التربية الإسلامية على كرامة الإنسان:

تؤكد التربية الإسلامية على كرامة الإنسان ، وأنه كائن قد كرمه الله تعالى، وقد سبق بيان أوجه التكريم عند الحديث عن الطبيعة الإنسانية من الفصل الثالث من هذا البحث، فقد كرم اللهُ الإنسان بدأً بالهدف الذي خلقه من أجله، حيث خلقه تعالى لهدف كريم هو عمارة الأرض بطاعة الله (I H G F E D C)[١] ثم كرمه تعالى بتجميل ظاهره، قال تعالى : (+ , - . / 0 1)[٢]، ولما جمل ظاهرة، كرمه بتجميل باطنه أيضاً؛ فخلقه على الفطرة السوية القويمة ، قال تعالى : (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ © ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱ ¶ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾)[٣] وهذه الثلاثة مجتمعة -نبل الغاية والهدف الذي خلق من أجله الإنسان، وغاية الحسن في الخلقة الظاهرة، وجمال الباطن- لها انعكاساتها التربوية على حس المتربي وشعوره بتفرده ومكانته الشخصية التي أنزله الله فيها. و"... الإنسان إذا عرف أنه سليل بيت كريم ومعدن طيب ولدت هذه المعرفة في نفسه كياناً مستقلاً قائماً بذاته بل حملته على حفظه وصيانته لئلا يدنس هذا الأصل، أو يفسد ذلك المعدن"[٤].

ثانيا ً : تأكيد التربية الإسلامية على الدور الذي يقوم به الفرد في الكون.

تؤكد التربية الإسلامية على أن للفرد دوراً أساسياً، ورسالة لابد أن يقوم بها في هذا

---

(١) سورة الذاريات:٥٦ .

(٢) سورة التين:٤.

(٣) سورة الروم:٣٠.

(٤) نوح ، السيد محمد(د . ت) شخصية المسلم بين الفردية والجماعية .القاهرة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ص٤٩

الكون، ليعمره عمارة حسية ومعنوية، (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾) [١] فإنسان التربية الإسلامية يدرك هذا الدور ، و يسعى لتحقيقه حتى في أسوأ الظروف التي يمر بها هذا الكون، ففي الحديث عن أنس t أن النبي r قال : (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها)[٢] وهذا الحديث يصور أسمى أحوال الإيجابية تجاه الكون.

ولهذا التوكيد على دور الفرد في الكون كان له انعكاسه التربوي على شعور الفرد، وأن له كيانه المستقل، والمنزلة الخاصة في هذا الوجود من حوله، فيحمله على التوافق والاستقرار النفسي، بالإضافة للشعور بالمسؤولية تجاه هذا الوجود.

وبهذا تدفع التربية الإسلامية عن الفرد الشعور بالاغتراب الذي شعر به (فرد التربية البراجماتية) والذي صور (جيمس) إحساسه بالاغتراب عندما وصف جهله بدوره في الكون، وسعى إلى محاولة إيجاده فقال : "فالكون المحكم الدقيق يكاد يخنقني باحتوائه، كل شيء في يقين لا يخطئ، وضرورته التي لا تترك مجالا للاحتمالات، وعلاقاته التي لا تنطوي على أدوات، تجعلني أشعر كما لو كنت قد وقّعتُ عقداً لم احتفظ لي فيه بأي حق، أو بالأحرى كما مضطراً إلى أن أعيش في فندق ضخم، على شاطئ البحر، ليس لي فيه حجرة نوم خاصة أستطيع أن ألوذ بها بعيدا عن التزلاء."[٣]

نعم لقد صور (جيمس) إحساس (الفرد) عندما يغيب عنه حقيقة الكون، ومنزلته فيه، ودوره المطلوب منه، فليس أبلغ من هذا التصوير ليصف الأثر النفسي والفكري لغياب هذه الحقائق.

ثالثا ً : التأكيد على حرية الفرد:

عند الحديث عن جانب الحرية، فإنه يجب أن يقصد بها الجانب المطلق لحرية الانسان،

---

(١) سورة هود : ٦١ .

(٢) الألباني ، محمد ناصر الدين. السلسلة الصحيحة . مكتبة المعارف . الرياض ج١ص٣٨ . قال عنه الألباني: (وهذا سند صحيح على شرط مسلم)

(٣) رشوان ، محمد مهران (١٩٨٤) . مرجع سابق، ص ٥٤.

وهو التخلص من وصاية المخلوق، والانطلاق إلى سعة الحرية بين يدي الخالق جل وعلا، فلا معنى لحرية تـــُخضع الإنسان للإنسان، وإنما حقيقة الحرية هي في التسليم لله تبارك وتعالى في أمره ونهيه، وحكمه وقضائه، وبسطه ومنعه وفي كل حال، والتربية الإسلامية سعت لتحرير الانسان وغرس ذلك في حسه وشعوره ومن أبرز معالم الحرية مايلي :

١. **ربط الانسان بربه مباشرة دون شريك ولا وسيط بينه وبين خالقه تعالى.** ولقد كان هذا واضحاً أشد الوضوح منذ بُعث النبي **r** وظهر الاسلام فقد كان دعوة الإسلام دعوة للحرية الانسانية بمفهومها الشمولي، فأول ما ينطق به المسلم هو (أشهد أن لا إله إلا الله) وهي نفي صريح لكل أنواع العبودية والخضوع لغير الله عز وجل : (: ; < = > ? @ A B C D

F E G H I J K L M N O P Q R T U

V W X Y Z) [1] "فالناس جميعاً متساوون في إنسانيتهم وحريتهم ، فلا عبودية إلا لله ، ولا سيادة لأحد على أحد وإنما السيد هو الله وحده ، فهو الذي يستحق الخضوع والطاعة وحده" [2] وهذا الشعور بالحرية المطلقة للفرد في التربية الإسلامية له انعكاسه التربوي عليه فلإنسان حينما يتصل بربه فرداً فإنه:

> "يستغرق أحياناً في العبادة لله ويستغرق في الحب، إلى حد أن ينسى كل شيء في الوجود غيره هو وغير الله ، ويخيل إليه في لحظة الاستغراق العميقة أن الوجود كله قد شف وراق ، ثم خلا من كل شيء ومن كل أحد؛ إلا قلبه الخافق والشعاع النوراني الذي يصل قلبه بالله ... فهو لا يخضع لغير الحق الذي أنزله الله . ولا يرضى بأن يخنع ويستنيم ويصبح سلبياً إزاء ما حوله من قيم أو أشخاص أو قوة مادية، لأنه يحس وجوده الفردي ذلك المشحون بتلك القبسة من الله"[3]

فالفردية والحرية الحقة في عبادة الله تعالى والخضوع لسلطانه والتعالي على كل

---

(١) سورةآل عمران:٦٤.

(٢) المطيري ، حاكم (٢٠٠٤) . الحرية أو الطوفان . بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص ٩٠.

(٣) قطب ، محمد (١٩٩٣) مرجع سابق، ص ١٦٥.

ما صدر من الارض.

٢. **تنمية حرية الاختيار في الفرد**، ذلك أن الفرد في التربية الإسلامية مسؤول؛ والمسؤولية تتطلب الحرية، فلا مسؤولية عندما يكون الإنسان مجبراً، وتبتدئ هذه الحرية من بداية اختيار الدين فلا يكره الفرد على الدين بدون رضاً منه قال تعالى : (لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ) [١] فإذا كان الفرد لا يكره على الدين وهو من الأهمية بمكان، فإن بقية الأمور من باب أولى أن لا يكره عليها. فهو حر في ماله وحياته وشؤونه كلها .

٣. **تأكيد التربة الإسلامية على استقلالية الرأي لأفرادها.** مما يبني في نفوسهم الشعور بالفردية، فلا يكون الفرد تابعاً لأحد في رأيه لأي سبب من الأسباب، فهناك المعيار الذي يُحاكِمُ إليه الأفرادُ آرائهم جميعاً؛ وهو شرع الله المترل، فلا يجوز لفرد -كائناً من كان- أن يلزم فرداً آخر برأيه المجرد عن الدليل، كما لا يجوز لفرد أن يتبع فرداً آخر لمجرد التقليد بدون دليل، قال النبي r "لا تكونوا إمَّعة، تقولون إن أحسن الناس أحسنّا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا"[٢] وقد عاب الله تعالى على من سلم نفسه لغيره دون دليل أو برهان فقال تعالى : (! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8)[٣]

رابعا ً : تنمية المسؤولية الفردية عن الأعمال وما يترتب عليها :

تنمي التربية الإسلامية المسؤولية الفردية عن الأعمال على الصعيدين الدنيوي والأخروي ، فالتربية الإسلامية كما أنها أكدت على الحرية ، فهي تؤكد كذلك على مبدأ

(١) سورة البقرة:٢٦٥.

(٢)الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى (د . ت). الجامع الصحيح سنن الترمذي . تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج٤ / ص٣٦٤. قال عنه الألباني : حديث ضعيف.

(٣)سورة البقرة:١٧٠.

المسؤولية الفردية المستقلة ، والنصوص الدالة على هذا المبدأ كثيرة منها : قوله تعالى : ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [١] وقوله جل وعلا : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [٢] وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [٣]

فهي مسؤولية فردية كل فرد مسؤول عن عمله ، لا يستطيع أن يُلقي حمله على غيره ، كما أنه لا يتحمل تبعات أعمال الآخرين مهما كانت صلة القربى بينهم (z y } | { ~ ﴿لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا ۚ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا ´ µ ¶ ¸ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [٤] "والشعور الدائم بهذه المسؤولية الفردية يحدد للانسان في داخل نفسه كياناً متميزاً واضح الحدود ... ذلك هو غذاء الفردية في الاسلام"[٥]

خامساً : تأكيد التربية الاسلامية على عدم احتقار الفرد لذاته .

إنَّ التربية الإسلامية تربي الفرد المسلم على الشعور بالعزة، وعدم احتقار ذاته، أو رأيه الذي عنده فيه من الله برهان. فلا يترك المسلم أمر الله مخافة الناس ، يقول النبي r "لا يحقر أحدكم نفسه ، قالوا : يا رسول الله ، كيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : يرى أمر لله عليه فيه مقال ، ثم لا يقول فيه ، فيقول الله له يوم القيامة : ما منعك أن تقول في كذا وكذا ؟ فيقول : خشية الناس ، فيقول الله : إياي كنت أحق أن تخشى"[٦] فلا يُقبل من الفرد المسلم أن

---

(١)سورة الأنعام:١٦٤.

(٢)سورة المدَّثر:٣٨.

(٣)سورة البقرة:٤٨.

(٤)سورة لقمان:٣٣.

(٥)قطب ، محمد (١٩٩٣) . مرجع سابق، ص١٦٦

(٦) ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني (د. ت). سنن ابن ماجة . بيروت : دار الفكر ج٢ / ص١٣٢٨. قال الألباني ضعيف.

يخشى الناس أو يحقر نفسه ويراها أقل من أن تقول بالحق حتى وإن غضب من غضب، وهذا الخوف المذكور في الحديث من الخوف المنهي عنه وهو من الشرك الأصغر.

والتربية الاسلامية عندما أكدت على مبدأ عدم احتقار الفرد نفسه وما وهبه الله من القدرات والطاقات ؛ نهت في المقابل أن يؤدي هذا إلى الغرور واحتقار الآخرين ، مما يكسبها توازناً تربوياً منصفاً وموضوعياً . فعن أبي هريرة t ، قال : قال رسول الله r : "لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ، ولا يكذبه ، **ولا يحقره** ، التقوى هاهنا، - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه"(١).

(١) صحيح مسلم (د. ت) . مرجع سابق، ج٨ / ص١٠.

المبحث الثاني : موقف التربية الإسلامية من الفردية و الجماعية :

الإسلام يوفق بين الصفتين المتقابلتين في النفس البشرية (الفردية والجماعية) أكمل توفيق فلا يجعل الفرد في صراع بين كيانه المستقل ، ومن حوله من أفراد مجتمعه ؛ بل يربيه تربية تضمن التوافق بين أفراد المجتمع وذواتهم المستقلة، لأنه وقبل كل شيء يعترف بأن هاتين الصفتين أصيلتين في الإنسان، "فالإسلام يعالج كلتا النزعتين فيغذيهما معاً ، ويجعلهما متساندتين بدلاً من أن تكونا متنازعتين ، إنه يحتاج إليهما معاً ، لأن الفطرة لا تستقيم بإحداهما دون الأخرى ولذالك لا يكبت أياً من هما"[١] وفيما يلي أبر أساليب التربية الاسلامية في التوفيق بين الفردية والجماعية في تربيتها:

ولا أ ً : الإلزام بمعيار موضوعي ثابت خارج الذوات كلها يحتكم إليه الفرد والمجتمع.

وهذا المعيار هو شرع الله المطهر الذي لا يحابي أحداً ، ويراعي طبيعة التكوين الانساني أكمل مراعاة ، حيث يشرع لها ما يناسبها فهو خالقها (, - . / 0 1 2 3)[٢] بلى يعلم وهو اللطيف الخبير.

فعند ما يتمكن الشرع من نفس الفرد يصبح معياره الأول الذي يحاكم إليه معارفه وأفكاره وأخلاقة، فما وافقه قبل به وما خالفه تركه وابتعد عنه، وكذلك المجتمع إذا إلتزم بشرع الله وقبل به حاكماً عليه فسيصبح هو المعيار الذي يقاس به حقوق الأفراد في داخله فتحفظ حقوقهم وكرامتهم التي حفظها الله لهم.

ويرى الباحث أن مكمن الخلل في الفلسفات التي تناولت الطبيعة الانسانية، هو اعتمادها على العقل -مع قصوره- وإعمالها له في غير مجاله ، وهنا حصل الجهل بطبيعة الانسان وما يَصلح له ويُصْلحه ، فخرجت المعايير في ضبط الأفراد والمجتمعات معايير ذاتية كأن تعاد إلى المنفعة –كما فعلت البراجماتية - أو الغريزة أو غيرها من المعايير التي يمكن أن

(١) قطب ، محمد (١٩٩٣) مرجع سابق، ص١٦٤.
(٢)سورة المُلك:١٤.

يختلف عليها الأثنان بغض النظر عن مجتمع بأسره. ولذا فإن من أعظم ما يميز التربية الاسلامية في تعاملها مع الأفراد وضبط حدود فرديتهم ؛ والمجتمع وضبط حقوقه على أفراده ، وكذلك ضبط تعاملات الأفراد بداخله ؛ هو الاعتماد على معيار خارج الأفراد والمجتمع مما أكسب التربية الإسلامية عدد من الميزات ، منها على سبيل المثال لا الحصر :

١. العدل والمساواة بين الأفراد ؛ لأنها تعتمد على معيار مصدره من أحكم الحاكمين جل وعلا .
٢. الشمول في تلبية جوانب احتياجات الأفراد والمجتمعات .
٣. الواقعية: فالتربية الاسلامية باعتمادها المعيار الرباني في تعاملها مع الفرد والمجتمع تتعامل بواقعية ؛ فهي تعترف بالنوازع والغرائز والضعف الذي جُبل عليه الإنسان في أصل خلقه، فلذلك لا تُلزم التربية الإسلامية الناس "بصورة مثالية معينة مصبوبة في قالب لا تتعداه . وإنما تطلب من كل إنسان أن يبلغ حدود الكمال الممكن له حسب استعداداته وطاقاته"(١)
٤. التوازن بين النظرية والتطبيق ، والقول والعمل ، والجسم والروح ، والدنيا والآخرة ، ومصلحة الفرد والجماعة.

ثانيا ً : تأكيد التربية الإسلامية على أهمية الجماعة في حياة الفرد:

لم تتعامل التربية الإسلامية مع الفرديه في الانسان كياناً مستقلاً ثم تحاول بعد ذلك دمجه في المجتمع كما هي نظرة البراجماتية ، إذ يقول (ديوي) عن تربية الأفراد : "فلا بد لنا أن نقول إنها عملية صوغ وتكوين لفعالية الأفراد ثم صب لها في قوالب معينة، أي تحويلها إلى عمل اجتماعي مقبول لدى الجماعة"(٢). وهذه النظرة التي تعامل الأفراد على أساس الفصل بين فرديتهم وجماعيتهم ثم محاولة التوفيق بين هذين المنفصلين؛ هي مكمن الخلل الذي تجاوزته التربية الإسلامية عند تربية الفرد والتأكيد على فرديته، فهي تربي فرديته مع تأكيدها على أهمية الجماعة في حياته. ومن صور تأكيد التربية الإسلامية على أهمية الجماع في حياة

(١) قطب ، محمد (١٩٩٣) مرجع سابق، ص٢٣٧.
(٢) ديوي، جون(١٩٧٨) . مرجع سابق، ص ١١.

الفرد ما يلي:

١. تعزيز الأخوة بين المؤمنين : حيث يقوم المجتمع المسلم على رابطة الأخوة في الدين وهي أول أسس بناء المجتمع المسلم ولذا كان أول ما قام به النبي r بعد بناء المسجد المؤاخاة بين أفراد المجتمع الأول ، في إشارة لأهمية هذا الأمر في بناء المجتمعات . ولهذه الأخوة أثرها في إبراز الأخلاق الإيجابية بين أفراد المجتمع، مثل الإيثار و التناصح وأن يحب الفرد لأخيه ما يحبه لنفسه، فيحيى الأفراد في وسط مجتمع يحبهم ويحبونه ،

٢. ربط عبادات الأفراد بالجماعة والتأكيد على ذلك، حتى وإن كان بالإمكان أداء هذه العبادات بصورة فردية إلا أن الإسلام أكد عليها مع الجماعة ، ومن الأمثلة على ذلك الصلاة فإنه يمكن للفرد أن يصلي وحده ؛ إلا أن الاسلام أمر بها جماعة وأكد عليها ، قال النبي r "صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة"(١) وصلاة الجمعة والعيدين والاستسقاء ، كلها من العبادات التي حث الإسلام على أن تؤدى جماعة مع المسلمين ، وكذلك شعيرة الصوم من العبادات التي أمر الإسلام أن يلتزم فيها بالجماعة قال r "الصوم يوم تصومون ، والفطر يوم تفطرون"(٢) وكذلك الجهاد ، والدعوة ، وعمارة الكون والسيادة لا تكون إلا في وجود جماعة.

ثالثا ً : تأكيد التربية الإسلامية على مبدأ المسؤولية الاجتماعية في حياة الفرد المسلم.

إنَّ إنسان التربية الاسلامية يتربى على جملة من القيم الإجتماعية، التي يخاطبه الوحي بها، ويكدّها في حياته ويرتب عليها الثواب والعقاب، حتى يتشربها الفرد والمجتمع على حد سواء ، فتصبح من المسلمات الفكرية عند أفراده في علاقاتهم مع بعضهم البعض و مسؤوليتهم تجاه مجتمعهم من أبرزها ما يلي :

١. **التربية على لزوم الجماعة والنهي عن مفارقتها.** فتارة يأمر الله بلزوم الجماعة وينهى

(١) صحيح مسلم (د . ت) . مرجع سابق، ج٢ / ص١٢٢.

(٢) الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى (د . ت). مرجع سابق، ج٣ / ص٨٠. قال عنه الألباني : حديث صحيح.

عن مفارقتها كقوله تعالى : (A B C D E F) [١] و تارة يبين عاقبة التنازع والاختلاف كقوله تعالى : (! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0) [٢] وتارة يذكّر أفراد المجتمع المسلم بأحوال السابقين الذين تفرقوا ،كقوله تعالى : (v w x y z { | } ~ ﴿ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ١٠٥) [٣] وهذه النصوص مجتمعة تورث في حس الفرد المسلم أهمية الجماعة في حياته وأنه لابد أن يلتزم بها دون أن يذوب فيها على نحو ما بينه الباحث في تربية الإسلام للفردية في المبحث السابق.

٢. **التربية على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.** فقد يفهم من خلال الأمر بلزوم الجماعة والنهي عن مفارقتها أن ذلك يلزم منه السكوت على خروج المجتمع عن معيار الشرع القويم وأن الفرد لا بد أن يذوب في وسط مجتمعه، ويرضى ويسلم بعيوبه وعلله، وهذا المفهوم مخالف لما تريده التربية الإسلامية من أفرادها. فهي تربي فيهم المسؤولية الاجتماعية ، وتجعل منهم صمام أمان لحفظ المجتمع. وقد ربط الله تعالى بين القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين تحقق خيرية (أمة الإسلام) فقال تعالى : (. / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 :) [٤] فلا يستقيم حال المجتمع إلا بتربية أفراده على المسؤولية الاجتماعية ، وهنا يمكن أن يُقال إنَّ التربية الإسلامية تريد أن يكون هناك أوصياء على المجتمع يكبت حرياتهم ويتحكم في أمورهم ، وهذا يتنافى مع محافظة التربية الإسلامية على فردية أفرادها وحرصها على حفظ حرياتهم ، ويُرد على هذا :

---

(١)سورة آل عمران:١٠٣.

(٢)سورة الأنفال:٤٦.

(٣)سورة آل عمران:١٠٥.

(٤)سورة آل عمران:١١٠.

بأن هذا الاعتراض قد يكون صحيحاً وفي مكانه في حالة واحدة وهي أن يكون المعيار الذي على ضوئه يأمر هؤلاء وينهون معياراً ذاتياً أي من عند أنفسهم ، أما في التربية الاسلامية فإنه لا يُقبل الأمر والنهي إلا وفق ما جاء به دين الله جل وعلا ، وأما من أمر لمجرد الهوى والرغبة الذاتية فإنه لا إعتبار لأمره ونهيه ، وبهذا لا تكون الوصاية من أحد على أحد وإنما هو التسليم لله وقبول أمره ونهيه من الفرد والمجتمع.

٣. **التربية الإسلامية تحفظ لأفرادها حق الشورى**، وهذا الحق يحفظ التوازن للأفراد تجاه مجتمعهم ، فلا يشعر أفراده أنهم كالقطيع يساقون دون رضاً منهم أو مشورة . فللأفراد حق اختيار الحاكم ومشاركته الرأي ومحاسبته أيضاً ، ولأهمية الشورى في الإسلام فقد جاء ذكرها بين ركنين من أركان الإسلام هما الصلاة والزكاة فقال تعالى : (s r q p o n m l k j i t) [١] والشورى واجبة ملزمة قال تعالى: (= > ?) [٢] وهذا أمر والأمر للوجوب. ولا يستثنى أحد من المشورة في الأمر العام المتعلق بالناس.[٣]

٤. **التربية على مبدأ التعاون على البر والتقوى وما فيه صالح الفرد والمجتمع**، والنهي عن التعاون على خلاف ذلك . قال تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ [٤] فلا يُقبَل في المجتمع المسلم أي صورة من صور السلبية وعدم التعاون في تحقيق خير للمجتمع أو لأفراده ، كما أن إطلاق مبدأ التعاون بين أفراد المجتمع لا يعني أن يكون في شر أو ضرر للفرد أو للمجتمع ، بل هو تعاون(عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ) وضابط الخير والشر والفائدة والمنفعة للأفراد والمجتمع هو الشرع.

٥. **التربية الإسلامية تؤكد على مبدأ المساواة بين أفراد المجتمع.** فلا فرق بين عربي ولا

---

(١)سورة الشورى:٣٨.

(٢)سورة آل عمران:١٥٩.

(٣) أنظر : المطيري ، حاكم (٢٠٠٤) . مرجع سابق، ص ٢٩-٣٣ ، فقد تحدث عن هذا الموضوع بشكل موسع.

(٤)سورة المائدة:٢.

أعجمي، ولا أبيض ولا أسود، ولا ذكر ولا أنثى، ولا صغير ولا كبير، أما شرع الله تعالى وفيما أوجبه عليهم من الواجبات ، أو حفظ لهم من الحقوق، فلا يمكن لأحد كائن من كان ، أو يدعي تمييز فرد عن فرد ، أو جماعة عن جماعة ، خارج هذا المعيار. قال الله تعالى : (M L K J I H G F E D C B A [Z Y X W V U T S R Q P O N) [1] فهذا هو المعيار الذي ينظر الله إليه . والتقوى لا يعلم حقيقتها إلا الله جل وعلا ، فذا نهى الله تعالى عن أن يسخر أحدٌ بأحد ، ويحاكمه إلى معياره الشخصي ، فقال تعالى :

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ à فَأُوْلَٰٓئِكَ âٱلظَّٰلِمُونَ ١١) [2]

وبهذا وفَّقت التربية الإسلامية بين الصفتين المتلازمتين في النفس البشرية أروع توفيق وأكمله ، وكيف لا يكون هذا التوفيق ومصدرها الأول هو الوحي المطهر ، وهنا يشير الباحث إلى مسألة مهمة ، وهي أنه لا تصح محاكمة التربية الإسلامية إلى واقع التطبيق في المؤسسات والمجتمعات الإسلامية ، بل الواجب هو العكس ، بأن يحاكم واقع التطبيق إلى ما جاءت به التربية الإسلامية ، ليسد الخلل ويُتدارك الزلل.

(١) سورة الحُجُرات:١٣.

(٢)سورة الحُجُرات:١١.

المبحث الثالث:موقف التربية الإسلامية من الفردية في الفلسفة البراجماتية:

عرض الباحث خلال الفصول السابقة معالم الفردية في الفلسفة البراجماتية بشقيها (النظري والتطبيقي) ، وقد تشكلت لدى القارئ صورة ذهنية عن أهم معالم الفردية فيها ، واتضح من خلال هذا العرض أن الفلسفة البراجماتية جعلت من الفرد ومن تجربته وفاعليته مصدراً ومعياراً تحاكم إليه الحقائق والقيم ، وتوجب أن تكون التربية نابعة من خبرته التي يكتسبها وهو يصارع ويتكيف مع الحياة من حوله .

ثم تناول الباحث تعامل التربية الإسلامية مع الفردية والجماعية ، وكيف ربت أفرادها ووفَّقت بين هاتين الصفتين الأصيلتين في الطبيعة الإنسانية، حيث أن التربية الإسلامية لا تفترض الانفصال بين هاتين الصفتين في الطبيعة الإنسانية فتربيهما بشكل متوازن ، انعكس على حفظ حقوق الفرد و مكانة المجتمع.وتبين أن الفلسفة البراجماتية على النقيض تماماً من التربية الإسلامية في ذلك، وسيذكر الباحث على وجه الإجمال أهم جوانب الاختلاف التي ينبني عليها رفض التربية الاسلامية للفكر البراجماتي، وسيقسم الباحث ذلك على محورين المحور الأول يتناول الشق الفلسفي(الجانب النظري) ، والمحور الثاني يتناول الشق التربوي للبراجماتية(الجانب التطبيقي) .

أولا ً : موقف التربية الإسلامية من الفردية في (الجانب النظري):

ترفض التربية الإسلامية الفردية في الفلسفة البراجماتية في جانبها النظري الفلسفي، وذلك للأسباب التالية:

١. الفردية في الفلسفة البراجماتية مبنية على فكر لا يؤمن بالله عز وجل، ولا يعترف بالدين؛ إلا إن شكّلَ نفعاً شعورياً للمؤمن به، فتجعل الإيمان خاضعاً للمنفعة، فإن كان اليوم يُدرُّ نفعاً على شعور الفرد يشعره بالرضا آمن، وإن ثبت خلاف ذلك ألحد وترك الإيمان لأنه غير نافع له، يقول وليم جيمس بهذا الخصوص: "إذا كان فرض الله يعمل إكفاء ورضا في أوسع معاني الكلمة ، فهو فرض صحيح"[١]. فبناء

(١) جيمس ، وليم (١٩٦٥) . مرجع سابق، ص ٣٤٧.

الفردية في الفلسفة البراجماتية مبني على عدم الإيمان بالله تعالى حقيقة الإيمان، وهذا يتنافى مع التربية الإسلامية التي يؤمن أفرادها بالله تعالى إيماناً مطلقاً لا يخالطه شك.

٢. الفردية في الفلسفة البراجماتية فردية مادية تتعامل مع نصف الحقيقة وتغفل نصفها الآخر، فلا تهتم إلا بعالم المادة المدرك بالحس فقط وماعدا ذلك لا أهمية له فهي ترفض الغيبيات كلها. فـــــــــ(ديوي) مثلاً يرفض (الميتافيزيقا) رفضاً قاطعا، ويرى أن التفكير الميتافيزيقي لا يقدم ولا يؤخر مقابل ما قدمه الإنسان من السيطرة الذكية على الطبيعة، بل يعتبر (الميتافيزيقا) تقف عقبة أمام البحث، ويغلق عقول البشر أمام الإمكانات الكامنة في الطبيعة.[١] وهذا يتنافى مع التربية الإسلامية التي تؤمن بالحقائق الغيبية المستمدة من الوحي المطهر أشد من إيمانها بالحقائق الحسية، ذلك أن الحواس قد يعتريها الخلل فتقع في الخطأ، أما الوحي فمحفوظ بحفظ الله، قال تعالى : (p o n m l k j i h g f e d c q) [٢] " فلا يستطيع ذو باطل بكيده تغييره بكيده، وتبديل شيء من معانيه عما هو به، وذلك هو الإتيان من بين يديه، ولا إلحاق ما ليس منه فيه، وذلك إتيانه من خلفه"[٣]

٣. لا تقبل التربية الإسلامية أن تكون المنفعة الفردية معياراً للحقائق والقيم، فبالإضافة إلأى أنه يصعب ضبط هذا المعيار فإنه يصبغ المعارف والقيم بصبغة النسبية، وهذا يتنافى مع التربية الإسلامية التي تؤكد على المطلق المرتبط بوحي الله تبارك وتعالى، كما تربي أفرادها على القيم المطلقة المعتمدة على الوحي المترل من الله تعالى.

٤. ترفض التربية الإسلامية المنفعة الفردية معياراً تتشكّل على ضوئه علاقة الأفراد بعضهم ببعض، وعلاقتهم بالمجتمع، فإنه يكوّنُ مجتمعاً في صراع مستمر لتحقيق النفع الفردي، فتتوارى القيم الفاضلة التي لا تخضع لمعيار المصلحة الفردية والتي قد يعملها

(١) عوض ، رمسيس (١٩٩٨) . ملحدون محدثون ومعاصرون . ط ١ . بيروت: الانتشار العربي، ص٧٣

(٢) سورة فُصِّلَت:٤٢.

(٣) الطبري، محمد بن جرير بن (٢٠٠٠) . جامع البيان في تأويل القرآن . الرياض: مؤسسة الرسالة، ج١/ص٤٨٠.

الإنسان لمجرد إبتغاء الأجر من الله تعالى، كالإحسان، والإيثار والصدقة. وإذا أضيفت فكرة المنفعة إلى فكرة (الدارونية) -وهي من الأفكار التي اعتمدت عليها البراجماتية- التي تؤكد أن البقاء للأقوى فسيكون المجتمع حينئذ في تنافس وصراع دائم، وليس هناك دليل أوضح من أن هذه الفلسفة أصبحت الفكر الملهم للرأسمالية الجامحة القائمة على مبدأ التنافس الحر المحقق للمصلحة.(١)

٥. يغيب عن الفلسفة البراجماتية المعيار المفارق للأفراد وخبراتهم مما يسمها بالفردية، وينفي عن معاييرها صفة الموضوعية. فهي أقامت الإنسان وخبرته وتجربته ومنفعته معياراً مطلقاً كما سبق بيانه في الفصول السابقة. وهذا يتنافى مع التربية الاسلامية التي تستقي معاييرها من خارج ذوات أفرادها، فلا معيار غير معيار الشريعة وأحكامها.

(١) الطويل ، توفيق (١٩٥٣). مرجع سابق، ص٢٥٩.

ثانيا ً : موقف التربية الاسلامية من الفردية في (الجانب العملي) للفلسفة البراجماتية:

يمكن إجمال موقف التربية الإسلاميةمن الفردية في الجانب العملي التطبيقي في التربية البراجماتية فيما يلي:

١. تخالف التربية الاسلامية التربية البراجماتية في مفهومها للتربية تماماً، فمفهوم البراجماتية عن التربية -كما سبق بيانه- اعتبرت التربية والحياة شيئاً واحداً و لم تفصل بينها.(١)

أما مفهوم التربية الإسلامية فعرّفه (النحلاوي) بأنه : "تنمية فكر الإنسان وتنظيم سلوكه وعواطفه ، على أساس الدين الإسلامي بقصد تحقيق أهداف الإسلام في حياة الفرد والجماعة في كل مجالات الحياة"(٢) ، وعرفه (عوض) بأنه : "تنمية جميع جوانب الشخصية الإسلامية الفكرية والعاطفية والجسدية والاجتماعية وتنظيم سلوكها على أساس مبادئ الإسلام وتعاليمه بغرض تحقيق أهداف الإسلام في شتى مجالات الحياة"(٣) ، كما عرَّفه (يالجن) بأنه:" إعداد المسلم إعداداً كاملاً من جميع النواحي في جميع مراحل نموه للحياة الدنيا والآخرة في ضوء المبادئ والقيم وطرق التربية التي جاء بها الإسلام "(٤). ومن أجمع التعريفات ماذكره (مدكور) بأن التربية هي "عملية إيصال الإنسان شيئاً فشيئاً إلى درجة كماله التي هيأه الله لها"(٥)

وجميع المفاهيم السابقة التي تصف التربية من منظور إسلامي ، تتفق على أن التربية والحياة شيئان متغايران ، لا شيئاً واحداً ، وأن التربية هي وسيلة لإعداد الإنسان وتنمية جوانب تكوينه ، وفق أهداف وأساليب ومناهج مستمدة من التصور الإسلامي للكون

---

(١)الشيباني، عمر محمد التومي(١٩٧١) . مرجع سابق ، ص٣٦٨

(٢) النحلاوي ، عبد الرحمن (١٩٩٦) . أصول التربية الاسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع . دمشق: دار الفكر، ص ٢٧ .

(٣) عوض ، الشيخ الأمين محمد (١٩٩٠) . أساليب التربية والتعليم في الإسلام . ط٢ . دبي: دار القراءة للجميع للنشر والتوزيع ، ص٣٤ .

(٤) يالجن ، مقداد (١٤٠٩هـ) . أهداف التربية الإسلامية وغاياتها . ط (٢) . الرياض: دار الهدى للنشر والتوزيع، ص٢٠.

(٥) مدكور، علي أحمد (١٤١٠) . المفاهيم الأساسية لمناهج التربية . الرياض: دار أسامة للنشر والتوزيع، ص١٤٥.

والإنسان والحياة، وهذا خلاف ما تدّعيه التربية البراجماتية بأن التربية هي الحياة.

٢. كما ترفض التربية الإسلامية فكرة التربية البراجماتية في أن تتمحور التربية حول التلميذ بأن يكون هو مصدر المعارف ، وأن تبنى تطبيقات التربية كلها بناءً على رغباته وليس على ما يحتاجه ، فيكون كما قال (ديوي) : "الشمس التي تدور حولها تطبيقات التربية ، وهو المركز الذي ننظمها حوله"[١] .ولا يعني رفض التربية الإسلامية لأن تتمحور التربية حول التلميذ و رغباته أن لا يكون محل اهتمام المربي ، بل على العكس تماماً يجب أن يكون الاهتمام بالغاً بالتلميذ وقدراته وطاقاته يقول ابن القيم :

> "ومما ينبغي أن يعتمد ، حال الصبي ، وما هو مستعد له من الأعمال ، ومهيأ له منها ، مما كان مأذون منه شرعاً ، فيعلم أنه مخلوق له ، فلا يحمله على غيره فإن حمله على غير ما هو مستعد له لم يفلح فيه ، وفاته ما هو مهيأ له ، فإذا رآه حسن الفهم والإدراك جيد الحفظ واعياً ، فهذه من علامات قبوله وتهيئه للعلم ، لينقشه في لوح قلبه ما دام خالياً ... وإن رآه بخلاف ذلك من كل وجه وهو مستعد للفروسية وأسببها ، من ركوب الخيل والرمي واللعب بالرمح ، وأنه لا نفاذ له في العلم ، ولم يخلق له ، مكنه من أسباب الفروسية والتمرن عليها فإنه أنفع له وللمسلمين ، وإن رآه بخلاف ذلك ، وأنه لم يخلق لذلك ورأى عينه مفتوحة إلى صنعة من الصنائع ، ومستعد لها ، قابلاً لها ، وهي صنعة مباحة نافعة للناس ، فليمكنه منها هذا كله بعد تعليمه له ما يحتاج إليه في دينه"[٢]

لا تعارض التربية الإسلامية الاهتمام بالتلميذ ، ولكنها تعترض على فكرة أن تخضع التربية وأهدافها ومناهجها لذات التلميذ ولتجربته هو، دون الاهتمام بما يحتاجه، وما يجب أن يعطى من معارف خارج اهتمامه ورغباته، بناءً على قدراته واستعداداته.

٣. كما تخالف البراجماتية مفهوم التربية الإسلامية لأهداف التربية في النواحي التالية:

- غياب الهدف الحقيقي المحدد للتربية البراجماتية فهي تربية بلا أهداف مطلقة وهذا

---

(١) ديوي،جون(١٩٦٤). مرجع سابق، ص ٥٤

(٢) ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (١٣٩١) . تحفة المودود بأحكام المولود . تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط . ط١ . دمشق: مكتبة دار البيان، ص ٢٤٤.

خلاف للتربية الإسلامية التي تعتبر التربية"عملية مقصودة ومنظمة لها أهدافها ووسائلها وأساليبها المتنوعة والنابعة من التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة"

- حصرت التربية البراجماتية هدف التربية في نمو الخبرة الفردية فقط، والسعي في تحقيق رغبات أفرادها، حيث أعطت اهتماماً أكثر مما يجب لقضايا التكيّف، وتشجيع الناشئة للجري وراء رغباتهم، ووراء النشاطات الاجتماعية، بينما أهملت الموضوعات الأكاديمية والعقلية والدراسات الجادة، حتى وصفت بأنها (سيرك لعب) أكثر من كونها معهداً أكاديمياً.(١)، حتى أصبحت التربية البراجماتية تربية بلا أهداف كما قد سبق بيانه. ويرى الباحث بأن رفض التربية الإسلامية لهدف النمو البراجماتي؛ ليس رفضاً لهدف النمو في ذاته سواءً كان هدفاً عاماً، أو خاصاً، فإن من أهداف التربية الإسلامية رعاية النمو بكل جوانبه الجسمية والعقلية، والخلقية، والاجتماعية للفرد، إنما الرفض عندما يكون هدفاً غائياً مطلقاً ونهائياً لا هدف للتربية تسعى لتحقيقه بعده، فتكون التربية بالنمو ومن أجل النمو فقط، والتربية الإسلامية إعتبرت النمو وسيلة لتحقيق مثلها الأعلى ، وهو العبودية لله تعالى وتحقيق عدالته وشريعته في جميع شؤون الحياة الفردية والاجتماعية .
- جعلت التربية البراجماتية أهداف التربية وغاياتها منصبة على الجانب المادي من حياة الإنسان فقط، وأغفلت الاهتمام بالروح واحتياجاتها، كما أنها اهتمت بالحياة الدنيا فقط وأهملت الآخرة، فلذا هي تربي نصف إنسان فقط، وبهذا تخالف التربية الإسلامية التي تهتم بالانسان بجميع جوانبه. فالإنسان في التربية الإسلامية مركب من روح وجسد، وحياته ممتدة، دنيا وآخرة، وحقائق المعرفة في تصورها، غيبٌ وشهادة، فلا فصل بين هذه المتلازمات في التربية الإسلامية مما جعل التربية الاسلامية تربية أكثر شمولاً.

والله أعلم وأحكم

(١) ماجد عرسان الكيلاني (٢٠٠٩) . مرجع سابق، ص ٦٤

خاتمة البحث.

الخاتمة

أ- نتائج الدراسة:

ب- مقترحات الدراسة:

الخاتمة

وبعد، فبحمد الله تعالى تم إنجاز هذا البحث، الذي تناول الفردية في الفلسفة البراجماتية بالتحليل والدراسة الناقدة في ضوء التربية الاسلامية، وكان هدفه الكشف عن أبرز معالم الفردية في الفلسفة البراجماتية بشقيها النظري الفلسفي، والعملي المتمثل في تطبيقاتها التربوية، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي، واعتمد على تحليل ما جمع من مقولات رواد البراجماتية من كتبهم المترجمة للعربية قدر الاستطاعة، أو من الكتب التي أحالت إلى مراجعهم الأصلية، مراعياً في ذلك الأصول المرعية في التوثيق والإحالة.

أ-نتائج الدراسة:

بعد الإجابة على تساؤلات الدراسة، توصل الباحث إلى عدد من النتائج يمكن إجمالها فيما يلي:

١. قامت الفلسفة البراجماتية على جملة من المبادئ تتمثل في أنها فلسفة تجريبية عملية ذات نزعة فردية، تنكر الحقائق المطلقة والقيم الثابتة، وتنظر إلى المنفعة باعتبارها هي المعيار الذي تحاكم إليه المعارف والأفكار والقيم، وتركز على المستقبل وتقاطع الماضي بكل ما فيه.
٢. ارتباط الفلسفة البراجماتية بعدد من الفلسفات التاريخية يوقعها في التناقض مع أصولها ومبادئها التي وضعتها لنفسها.
٣. أظهرت الدراسة اعتماد الفلسفة البراجماتية على المعايير الذاتية، وإقامة الفرد وتجربته مصدراً للمعارف والقيم، ومعياراً لقبولها أو ردها، هو من أبرز أسباب فرديتها.
٤. الفلسفة البراجماتية تنظر إلى الإنسان نظرة مادية بيولوجية، مـــمّا كان له انعكاسه على فكرها التربوي في التعامل معه.
٥. أظهرت الدراسة أنَّ القيم في الفلسفة البراجماتية نسبية غير مطلقة ومتغيرة غير ثابتة تعتمد على معايير فردية، وهذا ما ترفضه التربية الإسلامية، لأن أصول القيم فيها مطلقة غير نسبية.
٦. نظرت البراجماتية إلى الكون أنه كون ناقص في طور التكوين مفتقر لفعل الإنسان،

بحيث يمكن للفرد أن يصنع واقعه، وهذه النظرة تتنافى مع نظرة المسلم الذي ينظر إلى الكون بأنه يسير وفق تقدير الله، بسنن كونية لا تتبدل، فلا يقع شي فيه إلا بعلمه وإذنه تبارك وتعالى، وأنه مسخر بقدرة الله، والإنسان مأمور بعمارته وفق منهج الله.

٧. تبيّن من خلال البحث أن التربية البراجماتية تتعامل مع نصف الإنسان وتهمل نصفه الآخر. فهي تهتم بدنياه وتلغي آخرته، وتغذي جسده وتتنكر لاحتياجاته الروحية، وتلفت نظره لعالم الحس وتغيّبه عن عالم الغيب، مما يجعلها لا تصلح أن تكون منهج تربية متكامل.

٨. تـــَميُيز التربية الإسلامية وتفردها ببناء الفردية التي تراعي جميع جوانب حياة الإنسان، الفردية والجماعية، الدنيوية والأخروية، الحسية والغيبية، الجسمية والروحية، مما يجعلها هي التربية الصالحة لبناء الإنسان.

٩. كشفت الدراسة عن أبرز معالم الفردية في التربية البراجماتية، وهو إصرارها على أن تكون التربية صادره من داخل الفرد، مع رفض أي شي يقحم على التلاميذ من الخارج، وإنما هي نمو القدرات الفطرية في الكائنات الإنسانية، مع التركيز على الخبرة الذاتية لأفرادها.

١٠. أظهرت الدراسة محاولة (جون ديوي) الجمع بين الفردية والجماعية في التربية البراجماتية، إلا أنه لم يوفق في ذلك، فأصول الفكر البراجماتي والتطبيقات التربوية التي اعتمدها، من التركيز على التلميذ ورغباته وميوله، ورفض الأهداف التي تكون من خارج ذوات التلاميذ، جميعها لا تخدم ما سعى إليه من محاولة الجمع.

ب-مقترحات الدراسة:

في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة يقترح الباحث ما يلي:

١. ضرورة تربية الأجيال على الشعور بالاعتزاز بدينهم وأن ما يرسمه لهم من نظام تربوي هو خير نظام على وجه الأرض، كيف لا وهو من عند أحكم الحاكمين.

٢. القيام ببحوث تربوية تبرز جوانب التكامل في التربية الإسلامية وشمولها جميع إحتياجات الإنسان، تقديمها للعالم المتخبط في نتاج التجارب البشرية.

٣. أهمية الانفتاح على العالم لمعرفة جديد الوسائل التربوية للإفادة منها.

٤. يمكن دراسة معالم التناقض في الفلسفة البراجماتية، بشقيها النظري والتربوي.

٥. ضرورة إبراز نظرة الإسلام للكون والإنسان والحياة ، وانعكاساتها التربوية على نفس المتربي.

٦. أهمية إعادة النظر من قِبل المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي التي بنت تربيتها على غِرار التربية البراجماتية، من خلال إعادة بنائها وفقاً لمعايير التربية الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع.

قائمة المصادر والمراجع:

١. إبراهيم ، زكريا (د.ت) . دراسات في الفلسفة المعاصرة . القاهرة: مكتبة مصر .

٢. ابراهيم، مصطفى ابراهيم . نقد المذاهب المعاصرة . القاهرة: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

٣. ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (١٣٩١) . تحفة المودود بأحكام المولود . تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط . ط١ . دمشق: مكتبة دار البيان

٤. ابن القيم الجوزية (١٩٩٦). بدائع الفوائد .(ط ١) مكة المكرمة : مكتبة نزار مصطفى الباز.

٥. ابن كثير ، اسماعيل بن عمر (١٩٩٩) . تفسير القران العظيم . مكة : دار طيبة.

٦. ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني (د. ت). سنن ابن ماجة . بيروت : دار الفكر .

٧. ابن منظور (د.ت) . لسان العرب . مصر: دار المعارف.

٨. الألباني ، محمد ناصر الدين(د.ت). السلسلة الصحيحة . مكتبة المعارف . الرياض.

٩. الأهواني ، أحمد فؤاد (١٩٦٨). جون ديوي . القاهرة : دار المعارف .

١٠. الأهواني، أحمد فؤاد (٢٠٠٩) . فجر الفلسفة اليونانية . القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١١. بخيت، هاني محمد رشاد (٢٠٠٦) . البراجماتية الأمريكية المعاصرة أصولها اليونانية . الاسكندرية : المكتبة المصرية.

١٢. بدوي ، عبد الرحمن (١٩٨٤). الموسوعة الفلسفية . بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

١٣. البستاني، عبدالله (١٩٩٠) . معجم وسيط اللغة . بيروت : مكتبة بيروت.

١٤. بيرى ، رالف بارتون (١٩٦٥) افكار وشخصية وليام جيمس ، ت: محمد على العريان . بيروت : دار النهضة العربية.

١٥. الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى (د . ت). الجامع الصحيح سنن الترمذي . تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٦. جديدي، محمد(٢٠٠٤) . فلسفة الخبرة . بيروت : مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

١٧. جلال ، شوقي (٢٠١٠) . العقل الأمريكي . القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٨. جيمس ، وليم (١٩٤٦) . إرادة الاعتقاد . ترجمة : د محمود حب الله . القاهرة: دار احياء الكتب العربية.

١٩. حلمي ، مصطفى (٢٠٠٥) . الاسلام والمذاهب الفلسفية . بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٠. حنفي ،حسن (١٩٩١) مقدمة في علم الاستغراب . القاهرة : الدار الفنية للنشر والتوزيع.

٢١. ديلودال ، جيرار .(٢٠٠٩) . الفلسفة الأمريكية . ت: جورج كتورة و الهام الشعراني. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

٢٢. ديوى ، جون و ايفلين ديوي (د. ت). مدارس المستقبل . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية.

٢٣. ديوى،جون (١٩٦٤). المدرسة والمجتمع. ت احمد حسن الرحيم . بغداد: دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر.

٢٤. ديوي ، جون (١٩٦٠) . البحث عن اليقين . ت . فؤاد الأهواني . القاهرة: دار احياء الكتب العربية.

٢٥. ديوي، جون (د.ت) . الخبرة والتربية . ت: محمد رفعت رمضان وآخرون . القاهرة : مكتبة الأنجلو.

٢٦. ديوي، جون(١٩٧٨) . الديمقراطية والتربية . ت: نظمي لوقا . القاهرة : مكتبة الأنجلو.

٢٧. ديوي،جون(١٩٦٣). الطبيعة البشرية والسلوك الانساني. ت: محمد لبيب النجيحي. القاهرة: مؤسسة الخانجي.

٢٨. رالف . ن . وين .(١٩٦٤) . قاموس جون ديوي للتربية . ترجمة محمد على العريان . القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

٢٩. رشوان ، محمد مهران (١٩٨٤) . مدخل لدراسة الفلسفة المعاصرة . القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
٣٠. زيدان ، محمود فهمي (٢٠٠٥) . وليم جيمس . الاسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
٣١. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر(١٤٢٠).تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان بيروت: مؤسسة الرسالة.
٣٢. شبير، محمد خضر عوض(٢٠١٠).دراسة ناقدة للفلسفة البراجماتية.رسالة ماجستير. غزة : الجامعة الاسلامية.
٣٣. الشنيطي ، محمد فتحي (١٩٥٧) وليم جيمس . القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة
٣٤. الشنيطي، محمد فتحي (١٩٨٠) . المعرفة . ط ٥ . القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر.
٣٥. الشيباني، عمر محمد التومي(١٩٧١) . تطور النظريات والأفكار التربوية . بيروت : دار الثقافة.
٣٦. صالح ، هاني عبد الرحمن(١٩٦٧) . فلسفة التربية . الأردن: مطبعة الجيش العربي.
٣٧. صحيح مسلم (د.ت) بيروت: دار الجيل.
٣٨. صليبا ، ، جميل (١٩٨٢) . المعجم الفلسفي . بيروت : دار الكتاب اللبناني.
٣٩. الطبري، محمد بن جرير بن (٢٠٠٠) . جامع البيان في تأويل القرآن . الرياض: مؤسسة الرسالة.
٤٠. الطويل، توفيق (١٩٥٣) مذهب المنفعة في فلسفة الأخلاق . ط١ . القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
٤١. عباس ، راوية عبد المنعم (٢٠١١) . الفلسفة الفكر والحرية . القاهرة: دار المعرفة الجامعية.
٤٢. عبد الحفيظ ، محمد(٢٠٠٦). الفلسفة والنزعة الانسانية . الاسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
٤٣. عبد العال ، حسن (١٩٨٥) . مقدمة في فلسفة التربة الاسلامية . الرياض: عالم الكتب للتوزيع والنشر.

٤٤. عبدالله ،عبد الرحمن صالح (١٩٨٦) . المنهاج الدراسي اسسه وصلته بالنظرية التربوية الاسلامية . الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية.

٤٥. عثمان، محمود (١٩٨٤) . الفكر المادي الحديث وموقف الاسلام منه . ط ٢. القاهرة: الدار الاسلامية للطباعة والنشر.

٤٦. العثيمين ، محمد بن صالح (١٤٢٦). الأصول من علم الأصول . الرياض: دار ابن الجوزي.

٤٧. العراقي، سهام (١٩٨٤) . تاريخ تطور اتجاهات الفكر التربوي . الأسكندرية : المكتبة الحديثة.

٤٨. عزمي اسلام . اتجاهات في الفلسفة المعاصرة .

٤٩. العساف، صالح بن حمد (٢٠٠٣) . المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية . الرياض: مكتبة العبيكان.

٥٠. عفيفي،محمد الهادي (د.ت)، في أصول التربية(الأصول الفلسفية للتربية) . القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

٥١. عوض ، الشيخ الأمين محمد (١٩٩٠) . أساليب التربية والتعليم في الإسلام . ط٢ . دبي: دار القراءة للجميع للنشر والتوزيع.

٥٢. عوض ، رمسيس (١٩٩٨) . ملحدون محدثون ومعاصرون . ط ١ . بيروت: الانتشار العربي.

٥٣. الغامدي ، عبد الرحمن عبد الخالق (١٩٩٦) . دراسة ناقدة لبعض مبادئ جون ديوي الفلسفية والتربوية من منظور إسلامي . الرياض: جامعة الملك سعود.

٥٤. فام، يعقوب(١٩٣٦) . البراجماتزم . القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٥٥. فرحان، محمد جلوب(١٩٨٩). دراسات في فلسفة التربية . العراق : مطبعة التعليم العالي بجامعة الموصل.

٥٦. قطب ، محمد (١٩٩٣) منهج التربية الاسلامية . ط١٤ . .القاهرة: دار الشروق.

٥٧. قنصوة ، صلاح (١٩٨٦) . نظرية القيمة في الفكر المعاصر . القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع.

٥٨. الكحلان ، حسن محمد(٢٠٠٣) . الفلسفة التقدمية . القاهرة : مكتبة مدبولي.

٥٩. كرم ، يوسف (٢٠٠٩) . تاريخ الفلسفة الحديثة. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
٦٠. كرم، يوسف (٢٠٠٩) . تاريخ الفلسفة اليونانية . القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية.
٦١. كوليه، أُزفلد(١٩٥٥) المدخل إلى الفلسفة . ط ٣. ت . أبو العلاء عفيفي . القاهرة : لجنة التأليف والترجمة .
٦٢. الكيلاني ، ماجد عرسان(٢٠٠٩) . فلسفة التربية الاسلامية . الأردن: دار الفتح للدراسات والنشر.
٦٣. الكيلاني، ماجد عرسان.(١٩٩٨) . أهداف التربية الاسلامية . بيروت: مؤسسة الريان.
٦٤. محمود ، زكي نجيب (١٩٨٢). حياة الفكر في العالم الجديد . ط ٢ . . القاهرة : دار الشروق.
٦٥. محمود ، زكي نجيب . (١٩٥٦) . نظرية المعرفة . القاهرة: مطبعة وزارة الارشاد القومي.
٦٦. محمود، زكي نجيب (١٩٩٣) . من زاوية فلسفية . ط ٤ . بيروت: دار الشروق.
٦٧. محمود، زكي نجيب (١٩٩٣) : من زاوية فلسفية . ط ٤ . بيروت : دار الشروق.
٦٨. مدكور، علي أحمد (١٤١٠) . المفاهيم الأساسية لمناهج التربية . الرياض: دار أسامة للنشر والتوزيع.
٦٩. مرسى ، محمد منير (١٩٧٩) . اصول التربية الثقافية والفلسفية . القاهرة : عالم الكتب.
٧٠. المرهج ، علي عبد الهادي (٢٠٠٨) . الفلسفة البراجماتية . لبنان: دار الكتب العلمية.
٧١. المطيري ، حاكم (٢٠٠٤) . الحرية أو الطوفان . بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
٧٢. المعجم الفلسفي (١٩٨٣). مجمع اللغة العربية . القاهرة :الهيئة العامة لشؤون المطابع.
٧٣. مكي، ابو زيد (١٤٣٠). ظاهرة الصراع في الفكر الغربي بين الفردية والجماعية. مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الاسلامية ، (٤٨) ، ٦٤٨-٦٨٨.

٧٤. ميد، هنتر (٢٠٠٥) . الفلسفة أنواعها ومشكلاتها . ت: فؤاد زكريا . ط ٢ . القاهرة: شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

٧٥. ناصر، ابراهيم (١٩٧٩) . مقدمة في التربية . عمان: جمعية عمال الطابع التعاونية.

٧٦. النجيحي، محمد لبيب(١٩٨١) . الأسس الاجتماعية للتربية . ط ٨ . بيروت: دار النهضة العربية.

٧٧. النجيحي،محمد لبيب (د . ت) . مقدّمة في فلسفة التربية . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية.

٧٨. النحلاوي ، عبد الرحمن (١٩٩٦) . أصول التربية الاسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع . دمشق: دار الفكر.

٧٩. النشار، مصطفى (١٩٩٨). مدخل جديد إلى الفلسفة . القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

٨٠. نوح ، السيد محمد(د . ت) شخصية المسلم بين الفردية والجماعية .القاهرة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

٨١. نيلر ، جورج (١٩٧١) فلسفة التربية . ترجمة نظمي لوقا . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية.

٨٢. ول ديورانت(١٩٨٨) . قصة الفلسفة .بيروت: مكتبة المعارف.

٨٣. وليم جيمس (١٩٦٥) . البراجماتية . ترجمة :محمد علي العريان . القاهرة: دار النهضة العربية.

٨٤. يالجن ، مقداد (١٤٠٩هـ) . أهداف التربية الإسلامية وغاياتها . ط (٢) . الرياض: دار الهدى للنشر والتوزيع.